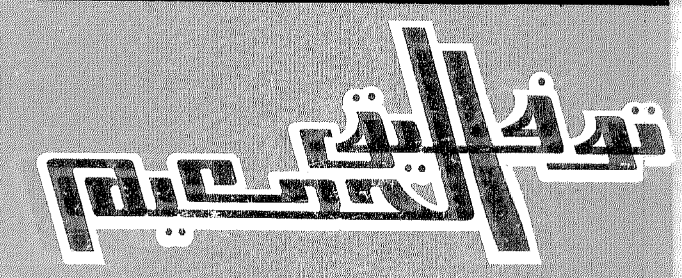
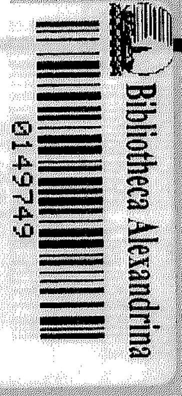


صلاح منتصر

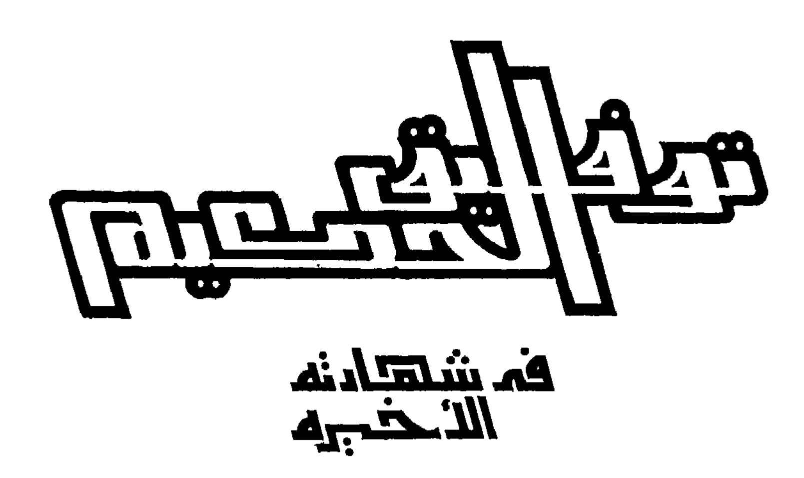




في شهادته الأخيرة

الأهرام
مركز الأهرام
للترجمة والنشر





صلاح منتصر

الطبعــة الأولــى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون : ٥٧٨٦٠٨٣ - فاكس : ٥٧٨٦٨٣٣

المحتويات

صفحة

■ قصة هذا الكتاب ٥

□ الفصل الأول : حديث « إلى الله » لا « مع الله » ٩

□ الفصل الثانى : ثرثرة مع الحكيم على فراش المرض ٢٥

□ الفصل الثالث : رسالة من الحكيم إلى الحاكم ٤١

□ الفصل الرابع : توفيق الحكيم من الآخرة ٥٥

□ الفصل الخامس : ما لم يقرأه الناس للحكيم بخط يده ... ٦٣

□ الفصل السادس : رحلة مع الحكيم الإنسان ١٠٥

■ الوثائق ١٢١



قصة هذا الكتاب

الفضل فى هذا الكتاب بعد الله للكاتب الكبير توفيق الحكيم الذى ذهبت إليه وهو على فراش المرض لأنتزع منه الحديث الأخير قبل أن يرحل عن دنيانا ، ولم أكن أعرف وأنا أدلف من باب حجرته رقم ٤١٤ فى مستشفى « المقاولون العرب » حيث كان يمضى فترة العلاج أن هذا اللقاء مع الأديب الكبير سوف يجعلنى أمتلك هذه الثروة التى لا أستطيع تقديرها بثمن ؛ فالفيلسوف العظيم الذى نسيه الأصدقاء عندما فات عليه فى المستشفى عدة شهور فقد كل إحساس بطعم الحياة ، وأصبح يمضى الأيام فى انتظار الموت . ولكن ما أن نشرت فى جريدة « الأهرام » الحديث الأول الذى أجريته معه حتى عاد الأصدقاء لزيارته ، وارتفع رنين التليفون عاليا فى غرفته للسؤال عنه ، واكتسى بإكسير الحياة الوجه الذى ذبل ، وفقد نضارته بسبب آلام المرض والوحدة ، وسرى الدم فى العروق التى جفت ، والقوة فى الصوت الذى ضعف ..

وفى ذات يوم فاجأنى الحكيم بطلب غريب .. أن أكتب له كل ما أريد من أسئلة ، وأجىء فى اليوم التالى لأتسلم منه الرد مكتوبا .. وتصورت أنه يبالغ .. فهو حتى هذه الساعة كان مازال تحت الرقابة والعلاج بعدة أدوية للقلب والأعصاب والضغط ..

وقلت له ضاحكا ، إننى أريد أن أسأله عن أول ما سوف يفعله فى الآخرة ... قلت هذا ، وتصورت أن الحكيم لن يأخذ كلامى على سبيل الجد ، لكننى فوجئت به بعد يومين يسلمنى ست صفحات من ورق المستشفى ، كتب عليها بخط واضح خالٍ من الشطب ردا على سؤالى : « فى الآخرة مع طه حسين » !

وقد كتب الحكيم فى هذه الصفحات تصورا كاملا للقائه فى الآخرة مع طه حسين ، صاحب شعار « التعليم كالماء والهواء » ، والحوار الذى جرى معه بخصوص نتائج هذا الشعار ، وتدخل الآخرين الذين حضروا النقاش ، ومنهم عباس العقاد ونجيب الهلالى . وكان الغريب أن يكتب توفيق الحكيم ما جرى من حوار على ألسنتهم ، وهو فى هذه السن (٨٦ سنة) ، ويرقد فى مستشفى تحت العلاج من أزمة قلبية ، وارتفاع فى الضغط ، وقد استخدم الحكيم فى الكتابة قلما من الحبر الجاف دون أن يشطب سطرا ..

وقلت له فى هذا اليوم إنه ما دام الأمر كذلك فأنا أطلب إليه أن يسجل اعترافاته خاصة وهو - كما كان يصف نفسه فى ذلك الوقت - : « رجل يجلس على ضفاف الموت » ، وفى اليوم التالى سلمنى أربع ورقات فولسكاب ، من ورق المستشفى مكتوبا بنفس قلم الحبر الجاف الذى تجرى به أفكار صاحبه فى سيولة ويسر دون أن يشطب سطرا ..

وتوالت المفاجآت .. أنا أكتب له السؤال ، ثم أعود فى اليوم التالى فأجده مستعدا بالإجابة ، إلى أن وجدته يوما يكتب لى بنفسه أسئلة لم أطلبها منه لكنه كتبها ، ووجهها إلى نفسه ، وراح يجيب عليها .. وكانت



توفيق الحكيم وصلاح منتصر ، صورة سُجلت يوم ٣٠ يوليو ١٩٨٤ بعد نشر أحاديثه فى الأهرام واهتمام الناس بالسؤال عنه .

عن كتابه « عودة الوعى » الذى صدر عام ١٩٧٤ وأحدث ضجة مدوية .

ولما كنت قد نشرت فى « الأهرام » فى ذلك الوقت سلسلة من الأحاديث التى أجريتها معه على فراش المرض ، استمرت سبع حلقات ، فلقد بقيت أوراق توفيق الحكيم فى أرشيفى ، أنتظر الفرصة لنشرها فى وقت مناسب ..

وفى عام ١٩٨٧ مات توفيق الحكيم ..

وكنت - اعتبارا من فبراير ١٩٨٥ - قد انتقلت إلى « دار المعارف » رئيسا لمجلس إدارتها ، ورئيسا لتحرير مجلة « أكتوبر » .. وشغلتني مشاكل كثيرة أنستني لفترة أوراق توفيق الحكيم ، وفي ذكرى مرور خمس سنوات على وفاته فكرت أن أنشر واحدة من هذه الأوراق ، ولكن في نفس الأسبوع وقعت أحداث سياسية لم أستطع بسببها كتابة المقدمة اللازمة التي أقدم بها هذه الورقة عند النشر ..

وتتابع مرور السنوات ..

وعدت أخيرا إلى أوراقي وملفاتي أقلبها ..

وكان ضروريا أن أخرج هذه الثروة الفكرية والأدبية التي تركها لي توفيق الحكيم لترى النور ، ولكي يقرأ الذين عرفوا والذين لم يعرفوا ، توفيق الحكيم ، كيف كان يفكر هذا المفكر العظيم ، وهو في سن السادسة والثمانين ، وهو على فراش المرض .. كيف كانت الكلمات تنساب من لسانه ومن قلمه ، متدفقة بالعبارات والمعاني العظيمة التي قالها وكتبها منذ نحو عشر سنوات ، ولكنك تستطيع أن تكتشف كما لو أن كاتبها قد انتهى لتوه من كتابتها اليوم ..

وهذا هو توفيق الحكيم .. ، وهذه هي أوراقه التي كتبها لي ، وهو على فراش المرض .. وكأن القدر قد أراد أن يكتبها في ذلك الوقت لتبقى محفوظة كل هذه السنوات ، لتبدو لمن يقرؤها وكأن توفيق الحكيم يكتبها من الآخرة .

صلاح منتصر

الفصل الأول

حديث « إلى الله » لا « مع الله »

حديث مع الله يثير ردود فعل غاضبة - شطبت كلمة « مع » فى المقال الثانى لتصبح « حديث إلى الله » - عملية جراحية عاجلة لأول مرة مع مقال لتوفيق الحكيم - ترك حديثه إلى الله ، وانتقل إلى حديث مع نفسه - سجلت معه أول حديث إذاعى ، وأول حديث تليفزيونى - لقاء مع سيدات الروتارى لأول مرة - حديث مع الشيخ الشعراوى يثير غيرته ، ويطلب أن أجرى معه حديثا مماثلا - كتب لى مقدمة الحديث ، وطلب أن أسأله فى الدين - كتبت تفاصيل حلمه بالشيخ الشعراوى ، فزاره الشعراوى فى المستشفى بعد ثلاثة أيام - رسم لى « ماكيت » صفحة أدبية تصدر كل يوم ثلاثاء - سأنسحب ، وأعلن هزيمتى ، إذا لم تنجح الصفحة .



فى يوم الثلاثاء أول مارس ١٩٨٣ ظهر « الأهرام » وبين صفحاته مقال كتبه الأستاذ توفيق الحكيم تحت عنوان « حديث مع الله » ، وقد بدأه بقوله : « هذا الحديث مع الله لم أر مانعا من نشره بإذن الله طبعا . فأنت تعرف يا ربى أنه لم يبق لى وأنا فى آخر أيامى غيرك .. وليس غيرك مَنْ أحب الحديث معه . وأن يكون آخر ما أكتب هو هذا الحديث ، ولا يسقط القلم من يدى إلا وهو يخط اسمك الأكرم ، سبحانك وأنت الذى أكرمت القلم ، وأقسمت به . وبإذنك أسألك أن يكون حديثى فى كل شىء شاهدته وفكرت فيه أثناء إقامتى فى هذه الدنيا دون حرج ، وأن تقوينى على نشره فى حلقات أسبوعية . كل حلقة يوم ثلاثاء ، ذكرى ابنى الوحيد الذى ولد فى الشهر الثالث وتوفى فى الثلاثين من عمره يوم ثلاثاء .. والشكر والحمد لله يا من نفسى بيده » .

ظهر المقال الأول وأحدث ردود فعل غاضبة ؛ فرغم حسن النوايا التى كتب بها توفيق الحكيم مقاله إلا أن الذى لم يكن مقبولا ، سواء من توفيق الحكيم أو من غيره ، أن يضع إنسان نفسه فى مستوى الخالق جل وعلا ، ويجرى حوارا معه بنفس الطريقة التى تجرى بين البشر .. ، وكان مما أغضب رجال الدين تقسيم توفيق الحكيم المقال إلى فقرات ... فقرة كتب أمامها « أنا » (أى الحكيم) والفقرة الثانية كتب فى أولها : الله .

ولما كان المقال المنشور هو الأول فى سلسلة مقالات فقد اتصل رئيس التحرير الأستاذ إبراهيم نافع بالأستاذ توفيق الحكيم ، وأوضح له خطورة الموضوع الذى يتناوله ، فأجابه الحكيم بأنه سيجرى التعديل اللازم .

وفى حوالى الساعة الرابعة من مساء يوم الاثنين ٧ مارس ١٩٨٣ - وكنت فى ذلك الوقت أتولى منصب مدير تحرير « الأهرام » - طلبت من سكرتارية التحرير موافاتى بالصفحة التى تحمل مقال توفيق الحكيم ، وكانت المفاجأة أننى وجدت نفس العنوان : « حديث مع الله » .

أما التعديل الذى أجراه كما وعد رئيس التحرير فهو أنه وضع كلمتى « المخلوق » و « الخالق » بدلا من كلمتى « أنا » و « الله » ... !

وطلبت من موظف التليفون أن يصلنى بالأستاذ الحكيم فى منزله .. وبعد دقائق جاءنى صوته قائلا : أستاذ منتصر (هكذا كان ينادينى) فيه حاجة ؟

قلت : المقال يا توفيق بيه .. ألم نتفق على تجنب استخدام عبارة « حديث مع الله » ؟

قال : أنا قلت « الخالق » بدلا من « الله » .

قلت : وهل هنالك خالق غير الله ؟

قال : خلاص بقه ، ولّا انت شايف إيه ؟

ووضعت أمامه فكرى بصراحة ؛ فلم يكن الأمر يحتمل موقفا

مترددا .. قلت له إننى قرأت مقاله السابق ، ومقاله الجديد ، وإننى من حيث المضمون معجب به ، وهو إن دل على شيء فعلى فكر رجل مؤمن ، ولكن من حيث الشكل فإن الأمر مختلف تماما .. فالله أو الخالق ليس طرفا مثل أى فرد يمكن أن يقيم العبد معه حوارا .. صحيح أن موسى تحدث مع الله ، ولكن الله هو الذى أذن لموسى بهذا الحديث ، وهو الذى بدأه .. ثم إن حديث الله مختلف عن حديث أى بشر .. حديث الله هو القرآن وآياته ، وليس بين البشر من يستطيع أن يأتى بآية واحدة مثل آياته ، فكيف يمكن لبشر مهما كان هذا البشر أن ينزل الله من عليائه ، ويضعه فى مكان أى فرد ويقول على لسانه من الكلام الذى يكتبه بشر ..

ظل الأستاذ الحكيم يستمع إلى ما أقول وقال منزعجا : « لأ .. لأ .. أنا مقصدش كده أبدا .. وإذا كان حد يفتكر كده أبقى أنا غلطان .. ورجائى أن تفعل فى المقال ما تريد .. أرجوك مش عاوز حد يفهمنى غلط .. صحيح أنا واثق أن ربنا فاهمنى وفاهم نواياى ، لكن زى ما بتقول لازم نراعى الشكل » .

وكان على بعد ذلك أن أواجه مسئوليتى .. ولأول مرة فى مقال كتبه الأستاذ توفيق الحكيم بدأت أجرى عملية جراحية عاجلة كانت صعوبتها أنها تجرى على بروفة الصفحة .

وبدأت بالعنوان .. فشطبت كلمة « مع » ووضعت بدلا منها « إلى » .. وأصبح العنوان : « حديث إلى الله » .

وفى فقرات الحوار تركت كلمة « المخلوق » أمام الفقرات ، ولكن

أمام الفقرات التى كتب توفيق الحكيم كلمة « الخالق » فقد شطبت الكلمة ، ووضعت مكانها ثلاث نقاط لتصبح هكذا (...)

وانتظرت إلى أن تم تعديل الصفحة ثم وقعتها للاعتماد للطبع .

□ □ □

حديث مع نفسى بدلا من حديث إلى الله

لم يحدثنى الأستاذ توفيق الحكيم فيما أجريته من تعديل .. ، لم يقل لى رأيه فى اليوم التالى ولا الذى بعده .. ، ولكن بعد أربعة أيام أرسل مقاله الثالث فى نفس السلسلة ، وقد كتب له عنوان : « حديث إلى الله » .. وفى فقرات الحوار استخدم نفس الطريقة التى عدلت بها مقاله السابق بوضع ثلاث نقاط أمام الفقرة التى تحمل ردا على تساؤلات المخلوق ..

وقد نشر الحكيم فى هذه السلسلة أربع مقالات نشرت أيام ٢ و ٩ و ١٦ و ٢٣ مارس ١٩٨٣ ، ثم فى الأسبوع التالى أرسل مقالات جديدة بعنوان « حديث مع نفسى » ، وقد كتب لها مقدمة قال فيها : « هذا الحديث مع نفسى هو استمرار للمناجاة التى بعنوان « حديث إلى الله » . وليس بعد الله إلا نفسى . وعندما سألتك يا ربى أن يكون حديثى فيما شاهدته أثناء إقامتى فى هذه الدنيا ، فإننى بدأته بك ، واتجه الحديث إلى الآخرة ، والآن يتجه إلى الدنيا ؛ عملا بديننا القائم على الآخرة والدنيا . ووجهتنى إرادتك إلى نفسى ، وها أنذا أحقق إرادتك ، وأبدأ حديثى مع نفسى والشكر والحمد لله يا من نفسى بيده » .

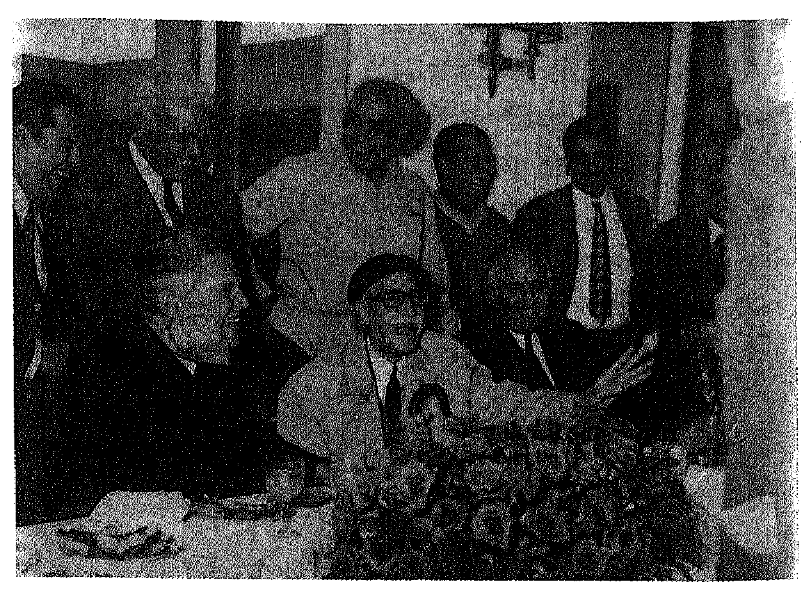
أول حديث إذاعى وتليفزيونى

كان مكتب الأستاذ توفيق الحكيم فى الدور السادس من مبنى « الأهرام » الجديد الذى انتقلنا إليه فى عام ١٩٦٨ يمثل أعظم صالونات الفكر والأدب والفن ؛ ففيه كان يجلس الحكيم على كرسى مكتبه ، وأمامه شوامخ العصر : زكى نجيب محمود ، حسين فوزى ، نجيب محفوظ ، عبد الرحمن الشرقاوى ، ثروت أباظة ، بنت الشاطىء ، يوسف إدريس ، صلاح طاهر ، يوسف جوهر .. وكان من الصعب على واحد مثلى فى ذلك الوقت أن يتسلل إلى عمالقة هذا الصالون ، ويجلس معهم .. كانت مجرد الفرجة عليهم تعتبر فى حد ذاتها ثروة عظيمة . ولكن حدث فى ذلك الوقت أن دعانى المرحوم إبراهيم الوردانى إلى « جلسة الجمعة » التى يحضرها الأستاذ توفيق الحكيم فى فندق النيل ، على مسافة خطوات من بيت الحكيم .. ، وفى هذه الجلسة كانت هناك مجموعة أخرى من أولى الفكر والفن ، أذكر منهم : الفنان يوسف وهبى ، وحسين فوزى ، وثروت أباظة ، ويوسف السباعى ، ومحمود إبراهيم الدسوقى ، وغيرهم .

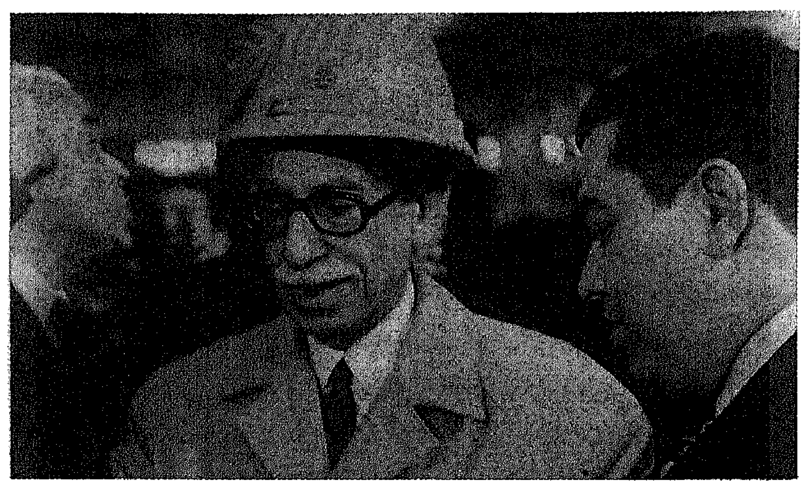
وفى هذه الجلسات بدأت أقترب من الأستاذ توفيق الحكيم .. وفى بداية عام ١٩٧٣ كنت أقوم بإعداد برنامج إذاعى أعطيته اسم « مصر الأمل » ؛ أردت به أن أخفف قبضة اليأس التى أصابت مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ المريرة ، وكنت مع الزميل الإذاعى عبد الوهاب محمود ، مراسل الإذاعة حاليا فى ألمانيا ، نقوم بزيارات عديدة للقاء العاملين فى المصانع ، ومواقع إنتاجهم وتسليط الضوء على حركة الإنتاج المستمرة بدون توقف تطلعا إلى الأمل ..

وخروجا على المألوف قررت أن أنظم رحلة لأدباء وكتاب مصر ، وعلى رأسهم توفيق الحكيم ، لزيارة مصنع الحديد والصلب فى حلوان كى يروا – ولأول مرة فى حياتهم – كيف يتم تحويل الحديد إلى سائل مصهور ، ويتم بعد ذلك صبه فى قوالب ..

وبالفعل قبل توفيق الحكيم أن يكون على رأس الكتيبة الزائرة ، وبالطبع احتفت بهم إدارة المصنع احتفاء كبيرا ، وأقام المهندس على مرسى رئيس الشركة فى ذلك الوقت احتفالا خاصا توسطه توفيق الحكيم .. ولأن الهدف من الزيارة كان عمل برنامجى الإذاعى ، وتسجيل مشاعر وانطباعات هؤلاء الكتاب ، فقد كان ضروريا أن نحصل على تسجيل من توفيق الحكيم ، وهو عمل لم يسبق أن قام به من قبل . فحتى ذلك الوقت لم يكن توفيق الحكيم قد ذكر كلمة واحدة بصوته فى أى برنامج أو حديث إذاعى .. ولم يكن فى استطاعة أى واحد من الموجودين : يوسف السباعى ، أو ثروت أباظة ، أو إبراهيم الوردانى ، أو أنور أحمد ، أو صلاح طاهر ، أو كمال الملاخ ، إقناع الحكيم بإجراء التسجيل المطلوب ، ولهذا اتفقت مع المذيع عبد الوهاب محمود على إخفاء الميكروفون فى باقة ورد وضعناها أمام توفيق الحكيم .. ومطمئنا إلى أنه ليس هناك ميكروفون يسجل له ، وقد راح يتلفت يمينا ويسارا ، أخذ توفيق الحكيم يجيب عن أسئلتى .. ونجحت الخدعة .. وتم لأول مرة فى تاريخ الإذاعة نقل صوت توفيق الحكيم عبر الأثير .. فلم يكن الحكيم حتى ذلك الوقت يعرف دورا له غير الكتابة ، ومواجهة الناس بالورقة والقلم ، أما الأحاديث بكافة أنواعها أمام أى جمهور ، سواء كان وجها لوجه ، أو عن طريق الإذاعة أو التليفزيون ، فكان يتجنب كل ذلك تماما ..



توفيق الحكيم وإلى يمينه يوسف السباعى وخلفه كمال الملاخ وأمام الحكيم الزهور التى أخفى فيها المؤلف الميكرفون .



توفيق الحكيم مع المؤلف فى مصنع الحديد والصلب

والغريب أن القدر لعب معى مصادفات غريبة بالنسبة لتوفيق الحكيم ، فكما كنت أول من استطاع تسجيل حديث إذاعى معه ، كذلك كنت أول من سجل له برنامجا حواريا تليفزيونيا ، وكان ذلك خلال فترة علاجه فى مستشفى « المقاولون العرب » فى عام ١٩٨٤ ، كما كنت أول من جعله يتحدث فى مكان عام عندما أقنعته بأن جمهوره سيكونون جميعا من النساء ، وبالفعل تم ذلك فى اجتماع سيدات الروتارى ، وكشف توفيق الحكيم ، فى حديثه وحواره الذى استمر نحو ساعتين ، عن حبه للمرأة ، على عكس ما كان يقال عنه من أنه عدو المرأة ..

□ □ □

الحكيم يكتب مقدمة حوارى معه

كانت مفاجأة كبيرة عندما وجدت الأستاذ توفيق الحكيم فى نهاية عام ١٩٨١ يستدعينى للقائه ..

كان أنور السادات قد اغتيل فى ذلك الوقت فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ، على يد عدد من المنتمين إلى جماعة الجهاد .. وكان نجم الشيخ محمد متولى الشعراوى قد راح يعلو فى سماء الأحاديث الدينية .. كانت كل أحاديثه حتى ذلك الوقت قاصرة على تفسيرات القرآن بطريقته التى جذبت إليه الأنظار .. ، وكان له مقال أسبوعى ينقله عنه المرحوم أحمد زين ، مدير تحرير جريدة الأخبار ، وينشره فى الصفحة الأخيرة فى جريدة « الأخبار » كل يوم جمعة ، وفيه يفسر بعض الآيات .. وبعد وفاة أحمد زين استمر الشيخ الشعراوى فى كتابة هذا المقال الأسبوعى ..

وفى محاولة للتجديد ذهبت إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ولم تكن لى به معرفة سابقة ، ولكن تولى الزميل محمود مهدى ، رئيس القسم الدينى فى « الأهرام » فى ذلك الوقت ، تحديد موعد معه ، وتقديمى إليه فى منزله الذى كان يسكن فيه فى مواجهة مسجد الإمام الحسين .

أجريت حديثا مطولا مع الشيخ الشعراوى نشر على ثلاث حلقات فى جريدة « الأهرام » ، وضعت له عنوان « زدنى يا فضيلة الشيخ » ، وكانت أول مرة يتحدث فيها الشيخ فى أمور السياسة والدنيا ، وعلاقة الدين بكل ذلك ، وباغتيال السادات .. وكان ظهور هذه الأحاديث مفاجأة لكثير من المعجبين بالشيخ الذين تعودوا أن يقرءوا له فى شئون الدين .

وكان توفيق الحكيم من الذين أعجبوا بهذه الأحاديث ، وعندما استدعانى لمقابلته فى مكتبه فى نهاية عام ١٩٨١ فوجئت به يطلب منى أن أجرى معه حوارا مثل الذى أجريته مع الشيخ الشعراوى .

ووجدته يناولنى ورقة كتب عليها بخط كبير واضح : « لماذا أسأله ؟ » لأنى من حيث الشكل علمت منه أنه لن يكتب قائلا لى : « أحلت قلمى إلى المعاش بناء على طلبه ؛ فقد لبث يكتب بلا انقطاع نحو ستين عاما ، وصاحبه اليوم فى الثمانين . وصديقاه المعاصران طه حسين والعقاد ، أولهما ترك قلمه للمرض فى مثل هذه السن ، والثانى ترك قلمه للقاء ربه فى الخامسة والسبعين . ولذلك لم يبق له الآن غير الكلام ، والإجابة عما يسأل عنه ، ويستطيع عنه إجابة .. هذا من حيث الشكل . أما من حيث الموضوع فإنى أسأله لأنه .. »

كان الحكيم قد كتب هذه الورقة بالقلم الحبر الذى أصبح يكتب به فى السنوات الأخيرة ، بعد أن ظل يكتب بالقلم الرصاص سنوات طويلة . إلا أنه على نفس الورقة التى كتبها بالقلم الحبر فإنه كتب فى أعلى الصفحة بالقلم الرصاص : « لإخبار القارىء عن المبرر لهذا الحوار فى الدين الذى يتولاه الأستاذ صلاح منتصر » .

وكان معنى هذا أن توفيق الحكيم كان يريدنى أن أسأله فى الدين ، وأن يكون الدين هو محور حديثى معه ، بحيث تتفرع منه فروع مختلفة فى السياسة والثقافة والفن والحياة .. تماما كما فعلت مع الشيخ الشعراوى ..

ولم يكن سهلا أن أضع أسئلة فى الدين ليجيب عنها توفيق الحكيم ؛ فالقراء لم يتعودوا فى توفيق الحكيم أنه رجل دين ، ولهذا ظلت الورقة التى كتبها توفيق الحكيم فى أرشيفى الخاص فى انتظار إجراء حديث معه عن الدين ، وهو ما يعكس كيف كانت قضايا الدين تشغل توفيق الحكيم منذ بداية الثمانينات ، وكان يشعر بأنه يستطيع أن ينافس فى أحاديثه الدينية فضيلة الشيخ الشعراوى .. ، ولعل هذا ما يوضح لماذا اتجه بعد ذلك إلى كتابة أحاديثه إلى الله فى عام ١٩٨٣ .

لقاء مع الشيخ الشعراوى لأول مرة

ولا أعرف من الذى أفسد العلاقة بين فضيلة الشيخ متولى الشعراوى وبين توفيق الحكيم .. ولعل ذلك جاء نتيجة لمقال « حديث مع الله » الذى فسره الشعراوى بأنه « خطيئة لا تجوز .. »

وإذا كنت قد لعبت دورا فى حياة توفيق الحكيم بالنسبة للإذاعة والتليفزيون ، وقد أصبح توفيق الحكيم بعد أول حديث إذاعى أجريته معه وأول تسجيل تليفزيونى ، لا يرفض أى حديث ، وذلك بعد أن وجد آثار نجاح هذه الأحاديث ، وردود فعلها فى توسيع دائرة الذين يعرفون عنه ، خاصة فى مجتمع لا يقرأ كثيرا ..

أقول إننى إلى جانب ذلك لعبت دورا فى علاقة الحكيم بالشيخ الشعراوى .. ؛ ففى يوم ٤ أغسطس ١٩٨٤ - وكان توفيق الحكيم يعالج فى مستشفى « المقاولون العرب » - نشرت ما يلى فى عمودى « مجرد رأى » بجريدة « الأهرام » :

« يجمعنى بفضيلة الأستاذ محمد متولى الشعراوى ، والمفكر الأستاذ توفيق الحكيم شعور ، أو رباط قوى من التقدير الذى هو عندى أعلى درجة من الحب .. لأن التقدير من العقل ، والحب من العاطفة .. والتقدير من الاقتناع وسلامة الرؤية ، والحب قد يكون أحيانا أعمى !

وقبل أيام ذكر لى الأستاذ توفيق الحكيم على استحياء - وكنت فى زيارته بمستشفى « المقاولون العرب » حيث كان موجودا منذ نحو أربعة أشهر - أن هناك موضوعا تردد فى مفاتحتى فيه ، ولكنه لثقته بى قرر أن يخبرنى عنه .

وقال لى الأستاذ توفيق الحكيم إنه منذ أربعة أسابيع شاهد فى المنام فضيلة الشيخ الشعراوى يؤدى الصلاة ، ثم بعد الصلاة توجه إلى الله بالدعاء لتوفيق الحكيم بالشفاء .

وأضاف الحكيم قائلا : « المهم فى الأمر أننى بالفعل كنت فى هذه الفترة أجتاز مرحلة دقيقة كان الأطباء فيها يتوقعون موتى فى أية لحظة .. ولكن الله فاجأهم باستردادى قوتى ، وعودتى إلى طريق الشفاء ، وهو طريق قد يكون حقيقة ، فيمد الله فى أجلى عاما أو أكثر ، وقد يكون سرابا أو وهما وينتهى فى أية لحظة .. لكن المهم هو إحساسى بالشفاء بعد رؤيتى فى المنام حلم الشيخ الشعراوى .

قلت : وماذا يقلقك لو أننى أشرت إلى هذا ؟

قال : يقلقنى أن يظن بى السوء ، لأن بعض الذين يحلو لهم الوقيعة جعلوه يسىء الظن بجميع المفكرين ، مع أننى أعتقد أنه شخصيا من ألمع المفكرين ، ويجذبنى حديثه وطريقته فى شرح وتفسير آيات الله . بل إننى أطرب من كلامه أكثر من المقرئين أصحاب الأصوات الجميلة .. لأن هؤلاء صوت ولكن هذا فكر .

قلت : وأين سوء الظن فيما تقول ؟

قال : سوء الظن أن يتصور أننى أقول هذا الكلام لأصرف الذين يذهبون إليه لسماع أحاديثه فى تفسير القرآن ، وبدلا من هؤلاء الباحثين عن العلم والمعرفة يذهب إليه الباحثون عن الشفاء طالبين منه الدعاء لهم .. وهكذا يجد نفسه وقد تحول إلى « مزار » للمرضى ، ويتهمنى بأننى السبب .

قلت : لقد جاءك فى حلم .. فمتى التقيت به فى الواقع آخر مرة ؟

قال على الفور : لم ألتق به ولا مرة .. مع أنى أحب رؤيته .

قلت : وأنا واثق أنه لن يسىء الظن بك .. بل قد لا يحرمك فرصة اللقاء معه .. »

نشرت هذا العمود يوم السبت ٤ أغسطس ، وفى يوم الثلاثاء ٧ أغسطس فى الساعة الثامنة والنصف مساء كان توفيق الحكيم يجلس على « كنبة » تواجه التليفزيون الذى كان يتفرج عليه وهو فى حالة استرخاء ، حين دخل عليه شخص ما أن اقترب منه ، ودقق توفيق الحكيم فى ملامحه حتى هب واقفا وهو يقول : مين ؟ شيخ شعراوى ؟

وبالأحضان المتبادلة بين الشعراوى والحكيم تم اللقاء الأول بينهما .. وكان الشيخ الشعراوى هو الذى بدأ الحديث فقال إنه من المعجبين بفكر توفيق الحكيم ، وأنه كان يقرأ كتبه ، ويذكر له « أهل الكهف » و « عودة الروح » .. وتحدث الحكيم فأبدى له إعجابه بشخصيته ، وبالتفسيرات التى يتحدث بها عن القرآن بفكر مستنير .. وعندما تصادف خلال الحديث أن تردد أذان العشاء طلب الشيخ الشعراوى أن يؤدى صلاة العشاء فشكا الحكيم من أنه رغم أنه كان من معتادى المشى ، وكان كثيرا ما يخرج من بيته ، ويصل إلى « الأهرام » سائرا على قدميه إلا أنه لم يعد يقدر حتى على الوقوف والوضوء . وقال الشعراوى إنه من أجل هذا كان التيمم . ووعده بأن يرسل إليه حجرا طاهرا يتيمم به ، وأضاف الشعراوى إن فريضة الصلاة واجبة الأداء على المسلم فى كل الأوقات ، ومهما كانت حالته سواء كان مريضا قادرا على الحركة أو مقعدا ، حتى لو وصل الأمر إلى أن يؤدى الصلاة بتحريك رموش عينيه . وشرح الشيخ الشعراوى للحكيم أهمية الصلاة فقال إنها تجمع كل أركان الإسلام ، ففيها الشهادتان يرددهما المصلى

فى التحيات ، وفيها الصوم لأن المصلى يقتطع فترة صلاته من وقت كان يمكنه أن يستثمره فى عمل ، ولكنه قدم طاعة الله على أى شىء آخر ، كما أن فى الصلاة أيضا الحج ، لأن المصلى يتجه إلى الكعبة ، ولهذا كانت الصلاة فريضة دائمة لا يجب أن تنقطع تعبيرا صادقا عن امتثال المسلم لأوامر ربه وطاعته .

الفصل الثانى

ثرثرة مع الحكيم على فراش المرض

الاحتفال بعيده الـ ٨٥ - قدم لى « ماكيت » صفحة أدبية كى يرد بها بعض الدين للأهرام - عربة إسعاف « الأهرام » تنقله إلى مستشفى « المقاولون العرب » - زيارة بعد شهرين مع الوحدة وفى انتظار الموت - كان أول سؤالى له : كلمنى عن الموت - أنا مسرح غادره جمهوره وممثلوه وفى انتظار إطفاء النور - قرائى ماتوا - أشعر أننى أعيش فى غير جيلى - اكتشفت أننى ضيعت حياتى فى كتب كان يخيل لى أن لها قيمة - الأبدية والخلود لعمل الإنسان كلام فارغ - جيلنا لم يعرف الفلوس ، ولكنه استمتع بما يفوق أى فلوس - أكبر مبلغ تقاضيته فى حياتى ٥٠٠٠ جنيه ..



فى ٢١ ابريل ١٩٨٤ استدعيت سيارة الإسعاف الخاصة بالعاملين فى « الأهرام » لنقل الأستاذ توفيق الحكيم من بيته المطل على النيل إلى مستشفى « المقاولون العرب » إثر إصابته بهبوط فى القلب ، والتهاب رئوى حاد . وقد تم إدخاله غرفة العناية المركزة ، ومنع الأطباء زيارته لحرج الحالة التى يجتازها .

كان قد سبق ذلك ببضعة شهور حفل قرر عبد الله عبد البارى ، رئيس مجلس إدارة مؤسسة « الأهرام » فى ذلك الوقت ، إقامته يوم ٩ أكتوبر ١٩٨٣ تكريما لتوفيق الحكيم في مناسبة بلوغه سن الخامسة والثمانين . وقد أقيم الاحتفال فى بانوراما « الأهرام » بالطابق الثانى عشر ، وفى حضور عدد كبير من أصدقاء توفيق الحكيم ، ورموز الفكر والأدب .

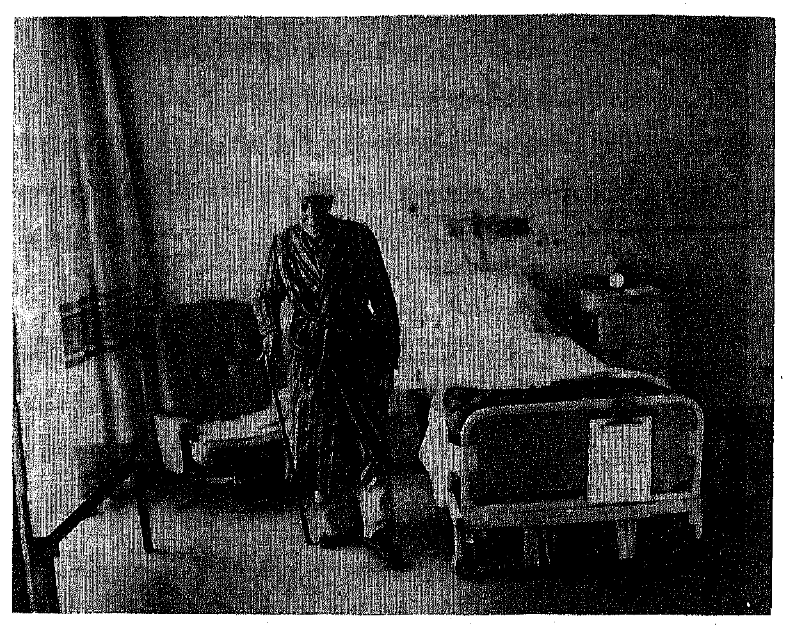
وفى هذه المناسبة قدم عبد الله عبد البارى لتوفيق الحكيم باسم « الأهرام » هدية عبارة عن مجموعة من العملات الذهبية ، فرح لها توفيق الحكيم ، وتقبلها شاكرا ، وألقى كلمة عبر فيها عن سعادته وشكره « للأهرام » ولأصدقائه .

كانت علاقتى فى ذلك الوقت قد أخذت تقوى « بتوفيق بيه » كما كنا نناديه .. ومع اقترابى منه لمست صفاء الرجل ، ونواياه البيضاء ، وسلوكياته القويمة .. وهو ما جعلنى أربط فيما بعد بين الأخلاق

والعبقرية .. فما من عبقرية حقيقية التقيت بها فى حياتى إلا ووجدت فى صاحبها تواضعا جما ، وجانبا مشرقا من الأخلاق العظيمة .

وفى سن مثل التى وصل إليها توفيق الحكيم ، وبعد السجل الحافل الذى قدمه توفيق الحكيم فى مجالات الفكر والأدب والفن ، فلقد كان مجرد وجوده فى « الأهرام » - حتى من دون أن يكتب كلمة واحدة - يعتبر قيمة كبيرة .. كان ما حققه فى ماضيه يكفى رصيدا كبيرا يعيش عليه ، ولكن توفيق الحكيم لم يكن من هذا النوع الذى يكتفى بالحياة على أمجاد ماضيه .. وفى أكثر من لقاء معه بعد الحفل الذى أقامه له « الأهرام » احتفالا بالخامسة والثمانين ، شكا لى توفيق الحكيم من شعوره بالخجل لأنه لا يشارك فى « الأهرام » ، ويقدم إليه أكثر من المقال الذى تعود أن يكتبه بطريقة غير ثابتة بين وقت وآخر . إلى أن فوجئت يوما بتوفيق الحكيم يستدعينى تليفونيا إلى مكتبه ، وعندما دخلت عليه وجدته يفتح درج مكتبه ، ويخرج منه ورقة مكتوبا عليها « مشروع صفحة أدبية تصدر كل يوم ثلاثاء فى الأهرام » .

كان الغريب أنه قدم لى ، وهو فى تلك السن ، رسما بالقلم للصفحة ومحتوياتها ، وقد أطلق عليها اسم (نافذة على الفكر) وبخطه كتب : « ماكيت للصفحة كل يوم ثلاثاء » . ويلاحظ هنا أن الحكيم استخدم كلمة « ماكيت » ، وهى من الألفاظ التى يقصر استخدامها على المحترفين فى إخراج الصفحات . وبخطه أيضا حدد الحكيم أبواب الصفحة وقد تضمنت : القضية - تعليقات - حديث الثلاثاء ، ويكتبه توفيق الحكيم ، وقد كتب بين قوسين « لمدة محدودة فى أول الأمر حتى ثبات الصفحة » - أخبار أدبية وفنية من العالم العربى ، ومن الآداب



يتمشى وحده فى جناحه بالمستشفى بعد أن نسيه الأصدقاء .

والفنون فى الخارج - مقالات من الخارج ، أو الداخل أى من داخل « الأهرام » أو من كتاب الخارج - من مختارات النافذة لأدب الشباب :

١ - قصة قصيرة ٢ - فصل تمثيلى ٣ - شعر ٤ - نقد أستاذ جامعى ، أو ناقد لإنتاج أدبى أو فنى للشباب ، وغير ذلك نماذج من الأدب القديم والحديث من مصر والبلاد العربية ، وإذا أمكن من الآداب الغربية أيضا .

وفى أسفل الصفحة كتب الحكيم : « ملحوظة : إذا لم تنجح هذه الصفحة فى إبراز شخصيتها بما يحدث أثرا فى المجتمع الفكرى فسأنسحب ، وأعلن الهزيمة ، ولذلك على المختصين بهذه الصفحة أن يعتبروها رسالة جادة يكرسون لها جهودهم بحماس وإيمان بالنجاح . توفيق الحكيم » .

وكان الذى يقول هذا رجلا تجاوز الخامسة والثمانين ، وأصبحت حركته محدودة . ولم يُكتب لهذه الصفحة أن ترى النور . فبعد أسابيع قليلة أصيب توفيق الحكيم بالأزمة الصحية التى نقل بعدها إلى مستشفى « المقاولون العرب » فى ٢١ ابريل ١٩٨٤ .

وقد التزم أصدقاء الحكيم بعدم زيارته لتفادى إزعاجه ، واستمر هذا الالتزام حتى بعد خروج الحكيم من غرفة العناية المركزة ، ونقله إلى الجناح ٤١١ الذى أصبح منذ ذلك الوقت يحمل اسم جناح الحكيم .

ثرثرة على فراش المرض

كنا فى أواخر شهر يوليو (١٩٨٤) ، وكان شهر رمضان قد بدأ .. وتذكرت توفيق الحكيم الذى انقطعت أخباره بعد أن دخل المستشفى ، وأصبح إعلان خبر وفاته أمرا متوقعا .. ولما كنت أكتب فى « الأهرام » مقالا أسبوعيا فى ذلك الوقت كل يوم أحد تحت عنوان « مجرد سياسة » فقد فكرت أن أذهب إلى توفيق الحكيم ، وأسجل معه – كسبق صحفى – الحديث الأخير له وهو على فراش المرض فى انتظار الموت .

وفى يوم الأربعاء ٥ يوليو – بعد الإفطار فى مساء ذلك اليوم – دخلت جناح توفيق الحكيم .. لم يكن هناك أحد فى الصالون الملحق بالغرفة التى فيها السرير الذى ينام عليه .. لا زائر ولا ممرض ولا ممرضة .. ولا صوت لأحد ..

وفى هدوء سحبت كرسيا ، وجلست أمام سريره ..

ونظرت إليه .. ، ووجدت صوتا يصرخ فى داخلى : « هل هذا توفيق الحكيم ؟ » .

كان الرجل عبارة عن كومة هشة من اللحم ، وقد اختفى جسمه تحت الأغطية ، ولم يظهر منه سوى وجهه والطاقية التى كان يغطى بها رأسه ..

وكان الوجه بتجاعيده الغائرة يعكس إحساس إنسان وضع قدمه على حافة القبر ، وجلس فى الانتظار ..

ونظر إلىّ توفيق الحكيم بعينين هزيلتين ..

وبدأت أسأل نفسى : « ماذا أقول له ؟ »

إننى لا أذكر منذ عرفته أن دخلت عليه مكتبه فى « الأهرام » ، وجلست أمامه دون أن أثير أمامه قضية يتحمس للحديث عنها ، والتفكير فيها ، وأستمتع أنا بالاستماع إليه .. ولعل هذا ما كان يحببه فى زياراتى له .. ولكن هذه المرة كان يبدو فى حالة مختلفة ..

ووجدت نفسى وقد تغلبت علىّ أنانية الصحفى ، أقول له – وأنا

أضغط على زرار جهاز التسجيل الذى كنت أحمله - : « توفيق بيه .. كلمنى عن الموت .. لقد فهمت أنك كنت قريبا منه ، أو ربما عشته ، وأريد أن أسمع منك .. هل كنت تتمنى فعلا أن تموت .. ؟ هل حلمت أو تمنيت أن تموت ثم تعود إلى الدنيا لتفاجىء أصدقاءك ومعارفك ، وترى أثر عودتك عليهم .. ؟ هل الموت أجمل ، أم الذى تعرفه أفضل من الذى لا تعرفه .. ؟ »

لا أعرف كيف واتتنى هذه القسوة فى توجيه هذه الأسئلة .. ولكن الغريب أننى وجدت توفيق الحكيم يتنبه إلى كل كلمة أقولها ، ثم بدأ يتكلم ويتكلم ويتكلم .. وجهاز التسجيل يدور ويسجل ما يقول .

كان كل الذى حملته معى شريطين مدتهما ثلاث ساعات امتلأت عن آخرها بهذا الحوار ، أو الثرثرة الطويلة التى بدأتها معه عن الموت ، وانتقلنا منه إلى مختلف الموضوعات الثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية . وعندما توقفت آلة التسجيل التى أحملها بسبب نفاد الشريطين اللذين كانا معى ، وأيضا استنفاد البطاريات الموجودة فى المسجل ، سألنى الحكيم ووجهه يشرق بابتسامة أعادت النضارة إلى وجهه : « انت معاك نوته صغيرة تكتب فيها ؟! »

كانت صورته قد اختلفت تماما بين لحظة دخولى عليه ، وساعة خروجى من عنده ، رغم أننى أمضيت معه أكثر من ساعتين ، لم أرحمه خلالهما من الأسئلة الكثيرة التى بدأ إجابته عنها ببطء شديد ، ثم أخذ إيقاعه فى الحديث يزيد ويزيد إلى أن شعرت أنه استعاد لياقته التى تعودته عليها .

قال لى توفيق الحكيم : « لم يعد لى سوى الله .. وفى كل دعواتى السابقة إليه لم يحدث أن دعوت بشدة طالبا منه أن يأخذنى إلى جواره مثل هذه المرة .. ؛ لأن مهمتى فى الحياة انتهت .. تصور أى مسرح فى آخر الليل .. بعد أن يغادره الجمهور ، وينصرف ممثلوه وعماله .. مسرح خال .. بدون جمهور ، ولا ممثلين ولا عمال أو موظفين .. ما الذى يبقى له سوى أن يمد عامل يده ، ويطفىء ما بقى فيه من أنوار .. أنا هذا المسرح .. وهذا الوقت بالذات هو الوقت المناسب الذى يجب أن ينطفىء فيه نوره .. »

روى لى توفيق الحكيم كيف أن الأطباء أخبروه أنهم بالفعل هيأوا أنفسهم لموته ، ولكن المعجزة الإلهية شاءت أن يعيش ، وقلت له : « هل معنى ذلك أن إرادة الحياة تغلبت فيك ؟ » . قال الحكيم منتفضا : « إرادة حياة مين ؟ أنا الذى لدى هو إرادة الموت ، لكن ربنا لم يرد ، وبدأت أسير فى طريق الشفاء ، وبدأت أسأله : ليه يا رب مديت فى أجلى .. وهل هو أجل بسيط .. ربما كان قصيرا ، وربما كان طويلا ، ولكن المهم ليس الأجل .. المهم هو المهمة أو العمل الذى يمكن أن أقوم به فى هذه الفترة التى أعيشها .. وعندما كان الأطباء يطمئنوننى على شفائى فقد كنت أسألهم بصدق : وما الفائدة من حياتى ؟ وكانوا يقولون لى : علشان تمتعنا .. ليه .. هو أنا مطرب ؟ يقولوا لى علشان تكتب لنا .. أكتب ؟ هوه أنا لسه حاأكتب .. ؟ أنا أريد شيئا له قيمة .. مهمة غير الكتابة لأنه ما فائدة الكتابة .. ؟ الناس لو بتقرأ كان يبقى فيه أمل ، لكن الناس النهاردة للأسف لا تريد القراءة .. وإذا قرأت فهى تقرأ الصحافة والمقال الطازج .. لكن ما عندى لم يعد سوى ذكريات قديمة

وحياة قديمة .. والناس عاوزة الطازة .. عاوزة الجديد .. لكن أنا بقيت روبابيكيا .. ! »

قال لى توفيق الحكيم وهو على فراش المرض : أنا كتبت ١٠٠ مسرحية و ٦٠ كتابا .. تعرف ماذا أدركت خلال مرضى ؟ أدركت أن ربنا أراد أن يمد فى حياتى حتى أرى - وأنا فى حالة احتضار طويل - أن كل أعمالى التى تعبت العمر فيها لا قيمة لها .. لأن المجتمع تغير .. أصبحت أرى نفسى فى دنيا جديدة ، والناس فيها من كوكب آخر ..

قلت له : لماذا هذا الإحساس الغريب ؟

قال : لأن كل الذين عرفتهم ، وكانوا قرائى ، وكانوا يعنى أصدقائى ، ماتوا .. والذى اكتشفته فى فترة مرضى أننى أعيش مع أجيال غير جيلى .. أجيال لها مفاهيم أخرى ، وأشياء أخرى تعجبها سواء فى السينما أو التليفزيون .. تتفرج عليها ، وهى تتناول العشاء ، وتسلى نفسها ، ثم تنام .. أما الذى يقول لك أعماله خالدة وباقية فهذا كلام فارغ .. الخلود لله .. لكن الأعمال الدنيوية كلها قيمتها مؤقتة ، وأنا أقول بعد كل هذه السنوات إننى ضيعت حياتى فى كتب كان يخيل إلى أن لها قيمة .. ربما كانت لها قيمة زمان فى الثلاثينيات والأربعينيات ، ولكن النهارده لا أظن !

قلت : كيف أدركت هذا ؟

قال : لأننى فوجئت بعبد الناصر بيهدينى قلادة الجمهورية ، والسادات ينعم على بقلادة النيل .. سألت : ليه .. ؟ قالوا لى عبد الناصر تأثر بـ « عودة الروح » ، وأنور السادات تأثر بـ « عصفور من

الشرق » .. إذن قادة الثورة عندما كانوا شبابا قرءوا لى ، وتأثروا ، وكانت النتيجة أننى عشت فيهم ، وفى فكرهم ، فأعطونى أكبر النياشين ، وبعدين ماتوا وطلع حكام آخرين ، وسيأتى حكام جدد .. ربما لم يقرءوا لأن النهاردة أصبح هناك تليفزيون ، وإذا قرءوا فمن المؤكد أنهم سيقرءون لآخرين .. يبقى معنى ذلك أن الأبدية والخلود لعمل الإنسان كلام فارغ .

الحديث من الوضع جالسا

كان حتى ذلك الوقت يتحدث وهو راقد فى سريره ، ولكن مع توالى الأسئلة طلب أن أساعده فى النزول من سريره ، والجلوس على المقعد المجاور .. ، وطلب أن تكون عصاه معه .. ، كان إيقاع السرعة فى الحديث والنبض فى الكلام ، قد راحا يتزايدان . وكان أبرز ما فيه قدرة العقل على التفكير ، وقدرة اللسان على التعبير ، سواء بالحزن أو بالسخرية ..

قال لى – وأنا أسأله عن نصيب جيله من الحظ والتعاسة بالمقارنة بالجيل الحالى – : شوف .. أسهل حاجة أن أقول لك إننا كنا أسوأ حظا من جيل هذه الأيام .. ولكن للحقيقة كانت فى جيلنا ميزة عظيمة جدا حرمت منها الأجيال الحديثة .. هذه الميزة هى القيمة ، لأنك إذا نظرت اليوم إلى ما حولك تجد أنك تعيش فى مجتمع قائم على الماديات .. القيمة فى مجتمع اليوم هى الفلوس .. والحكومة بكل أسف تساعد على ذلك لأنه بدل الحوافز الأدبية والمعنوية أصبحت تعطى حوافز مالية بدل القيمة .. تبص تجد من يحرز جون ياخد مش عارف كام ألف جنيه .. إذن كل حاجة .. كل مشقة .. كل جهد .. أصبح يقوم بالفلوس .

قلت أقاطعه : ولكن أليس هذا ما يحدث فى كل العالم يا توفيق بيه ؟ أليس هذا موجودا فى أوروبا ؟

قال بعد لحظات من التفكير : صحيح .. أوروبا حصل فيها تغيير كبير بتأثير من أمريكا ، لدرجة أنهم فى فرنسا هدموا مسرحا تاريخيا تخرج منه أكبر ممثلى فرنسا ؛ لأن شركة أمريكية اشترته ، وحولته إلى عمارة .. المحلات الكبيرة فى فرنسا حدث لها نفس الشىء ، واشترتها شركات أمريكية .. حتى بعض العطور القديمة التى اشتهرت بها فرنسا اشترت أمريكا اسمها ، وأنتجتها بنفس الاسم ولكن بالطريقة الأمريكية .. إذن يمكن القول أننا نعيش فى عصر أمريكى يتم فيه تقويم كل شىء على أساس قيمته المادية . ولكن الذى لا يجب تجاهله أنهم استطاعوا فى هذا الإطار المادى تحقيق نهضة حضارية كبيرة .. علوم متقدمة وتكنولوجيا واقتصاد... لماذا ؟ لأنهم نجحوا فى تقسيم الحياة إلى قسمين : قسم اقتصادى مادى ، وقسم حضارى وقيم .. هذا القسم الأخير استمر يمارس دوره لأن الذى يقوم به جامعات لها تاريخها وأصالتها . وفى وسط الماديات التى أصابت المجتمع الغربى والأمريكى بقيت هذه الجامعات قلاعا حصينة للقيم . جامعة السوربون فى فرنسا . هارفارد فى أمريكا . أوكسفورد فى انجلترا .. وغيرها وغيرها .. هذه الجامعات فيها أساتذة يعيشون على القيم . إذن المطلوب ، بجوار التيار المادى ، أن يستمر أيضا دور القيم .. ؛ لأنك إذا نظرت إلى هذه الدول تجد أن الذى يصنع لها قيمة حقيقية هو ما يحققونه للفكر وللحضارة ، وللإنتاج الأدبى والفكرى . الصلة بين المادة والقيمة إذن موجودة لم تنقطع ، لكن المشكلة بالنسبة لمصر بكل أسف هى طغيان المادة ، بحيث أصبحنا لا نكاد نرى أى قيم جامعية أو حضارية .

قال توفيق الحكيم وهو يطرق بعصاه : أنا حاولت أن أقارن بين تفكيرى ، وأنا شاب فى سن الثلاثين ، وتفكير أى شاب من شباب اليوم فى نفس هذه السن . ما أذكره عن جيلى أننا كنا مهتمين جدا بتكوين أنفسنا فكريا . أنا كتبى القديمة طبعتها على حسابى لأننى كنت أجد قيمتى فى تقديم هذا الإنتاج بصرف النظر عن أى عائد مادى . كنا فعلا جيلا ينتج من أجل القيمة .

قلت أداعبه - وقد شعرت بأنه استعاد بالفعل لياقته البدنية فى الحوار - : أمام ربنا يا توفيق بيه ما هو أكبر مبلغ قبضته مرة واحدة ؟

قال بدون تفكير : والله أكبر مبلغ قبضته كان فى رواية « عودة الروح » . وأنا كنت فاهم عندما جاءوا يشتروا منى الرواية حتى يمثلوها أننى إذا قلت لهم ٥٠٠٠ جنيه يعنى باطفشهم ولكنى فوجئت بأنهم ذهبوا وأرسلوا الـ ٥٠٠٠ جنيه ، وهذا أكبر مبلغ تسلمته .

قلت : وماذا فعلت به ؟

قال ساخرا : اشتريت به شهادات استثمار . لكن ما فضلوش .. ابنى الله يرحمه كان عاوز يشترى أورج ، وظل يلح على أمه إلى أن أخذ فلوس الشهادات ، واشترى بيها أورج .

قلت وأنا أستفزه : تعرف أن هناك ممثلين بيقبضوا ٨٠ ألف جنيه فى الفيلم هذه الأيام مرة واحدة . (لاحظ أن هذا الحوار كان فى عام ١٩٨٤ ، ولم يكن رقم ما يتقاضاه بعض الممثلين قد وصل إلى أرقام الستة الأصفار) .

رد على توفيق الحكيم ساخرا : دا أنا لو اشتغلت آخره ودنيا

ما أقدرش أكسب المبلغ ده . ملكش حق تقارنى بالناس العظام دول (!!) .. لكن احنا عشنا زمان تمتعنا فيه بأكثر من الفلوس . بأكثر من كل هذه الألوف . لقد كنا فى زماننا القادة الفكريين لهذا البلد ، وهذه متعة لا تساويها أى فلوس . ولكن من هم القادة الفكريين اليوم ؟ لا تعرف . هناك اهتمامات أخرى .. فيه انتصارات أخرى مثل انتصارات الكرة ، ولذلك أنا أعيش فى عالم لا مكان لى فيه ولا مستقبل .. من الصعب أن أجد لنفسى مكانا فى هذا العالم .. فالكرة لا أهواها .. حتى التمثيليات التى يذيعها التليفزيون .. ولذلك تجدنى فعلا فى حيرة .. تقدر تقول إننى متفرج من عالم آخر لم يعد يستمتع بأى شىء فى عالم اليوم ، ولدرجة أننى لم أعد أعرف لماذا أعيش .. وربما ما أنتظره هو أن يفكر لى شخص آخر ، ويحدد لى مهمة يمكن أن أقوم بها فى خلال المدة الباقية من عمرى .. لو حدد لى هدفا أعمله فى سنتين أعيشهم أعتقد أن هذا سيفيدنى جدا .. لأن هذا يعكس الإحساس بحاجة الآخرين إلىّ ، وهذه هى القيمة التى يمكن أن تبقى لى بعد كل هذا العمر .

خلال الساعتين اللتين أمضيتهما معه ، لم يدخل عليه زائر . لم يدق جرس التليفون مرة واحدة .. كأن توفيق الحكيم ، بكل تاريخه الطويل ، قد أصبح جزءا منسيا فى ركن الحياة ..

وكانت مفاجأة للكثيرين أن يقرءوا لتوفيق الحكيم ، وعن توفيق الحكيم فى « أهرام » ٨ يوليو ١٩٨٤ عندما نشرت الحلقة الأولى من حديثه تحت عنوان « ثرثرة مع الحكيم على فراش المرض » .

وذهبت إليه فى اليوم التالى لنشر الحديث .. وسبحان مغير الأحوال .. كان وجهه قد استرد عافيته ، وكان صوته قد اختفت منه

مشاعر الضعف والهزال .. ، وكانت حركته قد أصبحت أشد قوة .. وكان هناك زوار يدخلون ويخرجون .. ، وتليفون يعلو رنينه ، ويعلن عن وجود ناس تسأل عن توفيق بيه .. ، وباقات من الورود تذكر أصحابها أن هناك مريضا اسمه توفيق الحكيم موجودا فى مستشفى المقاولين .. ووسط كل هذا كان توفيق الحكيم يبدو مثل زهرة ذبلت ، ثم استعادت نضارتها بعد أن ارتوت بإكسير الحياة ، بعد أن شعر أن مسرحه مازال فيه جمهور وأبطال وممثلون .. وأن موعد إطفاء النور لم يحن بعد .. !



الفصل الثالث

رسالة من الحكيم إلى الحاكم

كل حاكم أراد لمصر النجاح بدأ مهمته بسؤال : ماذا أريد لمصر .. ؟ - فرق كبير بين الذى يريد لمصر والذى يريد من مصر - الفراعنة أقاموا أعمالهم العظيمة لأنهم كانوا يريدون لها الخلود - سر محمد على أنه أراد لمصر أن تكون قوة عسكرية ، ترتفع إلى قوة أوروبا - لم يكن كل ما حدث فى مصر قبل الثورة سيئا - هناك باشوات خدموا مصر ، وهناك أفنديات خربوا مصر - أقول للحاكم : ابدأ بسؤال ماذا تريد لمصر ؟ - أنت المسئول مباشرة عن اختيار مستشاريك - عظماء التاريخ المشهورون كانوا يجيدون انتقاء معاونيهم -

رئيس الدولة هو مايسترو الأمة - التاريخ لم يخلد شخصا « كان عايش كويس » ، أو جمع مالا ، وإنما خلد الذين قدموا ، وأضافوا إلى بلادهم عملا له قيمة - الإنتاج وحده الذى سيحل مشاكل مصر - الإنتاج لا يزداد بدون زراعة القيم - التعليم هو المدخل الأساسى لزراعة القيم - أخطر ما يواجهه الحاكم هو الخضوع لجملة : « الشعب عاوز إيه ؟ » - القضية : الشعب يجب أن يكون إيه ؟

عندما زرت توفيق الحكيم لأول مرة بعد شهرين من مرضه وعزلته وحده ، بلا أصدقاء ، أو زوار ، أو تليفونات تسأل عنه وتعطيه أهمية ، كان أدق ما ينطبق عليه ما قاله هو نفسه في أحد مقالاته القديمة : « إن الفنان أو الأديب لا يهدمه الذم أو النقد ، بل إنهما يدعمان وجوده . إنما الذى يهدمه ويقتله حقا هو الإهمال .. إن كفنه منسوج من العنكبوت ، ومدفنه تحت غبار النسيان ، ولكى يستمد إحساسه بالحياة فلا بد من التنويه بأعمال الفنانين والأدباء من حين إلى حين ، وأن نجعلهم يشعرون أن رسالاتهم قد وصلت إلى قلوبنا وعقولنا ، وأننا لجهودهم شاكرون ، ولصنيعهم عارفون » .

ولكن توفيق الحكيم ، وقد كان يعتقد أنه كتب أعمالا تستحق الخلود ، وجد نفسه بعد شهرين فقط من دخوله المستشفى شخصا منسيا لا يذكره أحد .. وعندما نشرت حديثه الأول تجددت العلاقة التى قطعت وأهملت بين توفيق الحكيم والناس ..

وفى يوم الأحد ١٥ يوليو ١٩٨٤ نشرت الجزء الثانى من حديثه وكان أول سؤال فيه : أستاذ توفيق الحكيم . إنك لا تطلب شيئا لنفسك اليوم .. لا مال ولا منصب ولا وسام .. بهذا التجرد الذى وصفت فيه نفسك بأنك تجلس على ضفاف الموت ، ماذا تقول للحاكم ؟

لم تأتنى إجابته عن سؤالى مباشرة ، كما كانت عادته فى الأسئلة السابقة ، عندما كنت أشعر أننى مثل لمسة الأصبع على جهاز الكومبيوتر ، ما أن أوجه السؤال حتى يفيض بالرد .. هذه المرة لاحظت يديه تقبضان بقوة على عصاه التى يمسك بها ، ثم بعد تركيز شديد مكثف من التفكير أحسست به ، وأنا أراقبه ، وبدأت أسمع صوته .

قال – وهو يتحسس خطى كلماته حتى لا تنحرف عن طريق مرسوم فى فكره – : لا بد أن أبدأ أولا بتأكيد أنه ليست لدى عقد من الماضى أو الحاضر أو المستقبل . ومع أننى ضد الشعارات إلا أننى لا أستطيع فى هذه اللحظة إلا الاعتراف بأننى أسير شعار واحد اسمه « مصلحة مصر » . وعندما تأتينى هذه المصلحة من أى طريق أو باب فاننى لا أوصده مرضاة لأى رأى مسبق أو شعار ، وإنما أجد لزاما على ضرورة مناقشته ، وأظن أن هذا ما يجب أن يقوم به كل من يحب مصر ..

عاد إليه صمته لحظات قليلة ، ثم مضى يقول : إن تاريخ مصر عميق وطويل .. وفى خلال آلاف السنين فلقد شهدت مصر حكاما ، بعضهم أراد لها الخير ، وبعضهم أراد لها غير ذلك .. وأستطيع أن أقول من مراجعة شاملة لتاريخ هؤلاء الحكام إن الحاكم الناجح الذى أراد لمصر الخير والنجاح بدأ مهمته بسؤال : ماذا أريد لمصر ؟ أما الذين لم يهدفوا إلى خيرها فقد كان سؤالهم هو : ماذا يريدون من مصر ؟ وفرق كبير بين الذى يريد لمصر ، والذى يريد من مصر ، سواء كان على مستوى الحاكم أو حتى المواطن . لو رجعنا إلى تاريخ مصر نجد أن الفراعنة كانوا يريدون لمصر ، ولهم الخلود ، ولهذا قاموا بأعمال



وجهه ينطق بالفرحة بعد أن دقت التليفونات وزاره الأصدقاء ، وإلى جانبه نجيب محفوظ وإبراهيم الورداني .

عبقرية وحضارية سيطرت عليها فكرة الخلود التي وضعوها هدفا لهم ، واستطاعوا في ظلالها ان يحققوا أول نهضة علمية وحضارية عرفتها الإنسانية . مصر استعمرت بعد ذلك وتعرضت لمستعمرين توالوا عليها ، ولحكام كان هدفهم ان يأخذوا من مصر ، ولم يكن يعنيهم : ماذا يريدون لمصر ، وإنما : ماذا يريدون من مصر .. وكانت هذه مراحل الضعف التي مرت على مصر .

محمد على أحد الحكام الناجحين ، كان سر نجاحه أنه أراد لمصر أن تكون قوة عسكرية ، ترتفع إلى قوة أوروبا التى بهرته عندما وجد نابليون ينتصر فى ساعات على المماليك . محمد على انبهر بهذه القوة وأراد لمصر شيئا رئيسيا ، أن تكون قوية عسكريا ، وفى إطار هذا الهدف وضع كل برامجه الإصلاحية لمصر ، فافتتح المدارس الحربية الكثيرة ، وأرسل البعثات العسكرية إلى أوروبا ، وبنى القناطر الخيرية ، والترسانة البحرية ، ومعامل السلاح ، ومنها معمل البارود الذى أقيم فى بلد اشتهر بهذا الاسم وهى بلدة « إيتاى البارود » . وبسبب الجيش واهتمامه بقوته قام بأكبر حركة إصلاح فى نظام التعليم ؛ لأنه وجد أن الجيش فى حاجة إلى أطباء . وعندما استدعى الدكتور كلوت بك ليفتح له مدرسة للطب كان رد كلوت بك ، الذى له شارع يحمل اسمه فى القاهرة ، أنه طلب عشرة طلاب نابغين لإرسالهم للدراسة فى معاهد أوروبا .

ونتيجة لهذا بدأ محمد على يفكر فى إصلاح التعليم فى مصر ، لأنه فى ذلك الوقت كان من الصعب على المصريين الذين يعمل معظمهم فى الزراعة أن يتنازلوا عن وجود أولادهم إلى جانبهم فى القرى والمزارع من أجل التعليم . وأقصى ما كان يفعل الآباء هو السماح بتعليم أبنائهم حتى مرحلة التعليم الأولى . محمد على أراد أن يحدث انقلابا فى هذا التفكير ، فأرسل رفاعة الطهطاوى إلى أوروبا ، لكى ينقل منها ما يعد بحق بداية نهضة مصر التعليمية والعلمية الكبيرة .

وبعد محمد على جاء الخديو إسماعيل ، وأنا اعتبره أيضا واحدا من الحكام الناجحين الذين أرادوا لمصر ألا تقل فى مظهرها الحضارى عن أية دولة أوروبية . فأقام دارا للأوبرا – وإن كانت قد احترقت فى

زماننا - وحديقة للحيوانات زحف عليها العمران بعد ان كانت من أجمل حدائق الحيوان فى العالم ، وسكة حديد كانت أنظف كثيرا مما هى عليه اليوم ، ومشروعات كثيرة كانت تدور فى الأساس حول محاولة أن تكون مصر قطعة من أوروبا .

□ □ □

قلت وأنا أحاول السير معه إلى أبعد مدى فى الطريق الذى أخذ يصحبنى إليه بكلماته : إننى شخصيا مقتنع بكل ما قلته عن هؤلاء الحكام ، ولكنك فى السنوات الأولى لثورة ٥٢ رضيت أن تسكت مع كثيرين على محاولة دفن ماضى مصر ، وإظهاره للأجيال الصاعدة بأنه لا يحمل إلا كل لون أسود ، ورائحة عفنة .

قال توفيق الحكيم : إننى أذكر ردا على سؤالك أننى كتبت يوما عن الفرق بين « الثورة » و « الهوجة » ، وقلت إن « الهوجة » تقتلع الصالح والطالح معا ، أما الثورة فهى تبقى النافع ، وتستمد منه القوة . ولكن المسألة ليست دائما بهذه البساطة ، لأن الثورة والهوجة تختلطان أحيانا إن لم يكن فى كل الأحيان . الثورة عادة تبدأ بتأكيد ذاتها وتثبيت أقدامها ، ولهذا تلجأ إلى عنف الهوجة ، لاقتلاع كل ما كان قبلها ، وتجعل بداية كل خير هو بدايتها ، وتاريخ كل شىء هو تاريخها ، وهذا أسوأ ما فى الثورات .. ولكن الثورة إذا كانت ثورة فعلا لا تستمر طويلا فى هذا الطريق وإنما بعد أن تطمئن إلى صلابة عودها ، وتوقن أنه أصبح لها وجه واضح ، وشخصية متميزة ، ومكان راسخ فى التاريخ العام ، فإنها تنبذ عنصر الهوجة ، وتأنف منه ، وتعود بكل اطمئنان إلى

تاريخ الأمة العام لتضع كل قيمة فى مكانها الصحيح ، وتضع نفسها فى الحجم المعقول داخل إطار التسلسل الطبيعى لتطور أمة ناهضة .

قال توفيق الحكيم ، وصوته يعلو كأنه يخطب ، ويداه تعبران عن انفعالاته :

« روسيا دبحت القياصرة دبح .. وفرنسا دبحت الأرستقراطية دبح .. ومع ذلك فتاريخ فرنسا القديم ، الذى كان فيه الكونت والبارون ، يجد كل احترام من فرنسا الديمقراطية . لويس الرابع عشر الذى قال فى زمانه : الدولة أنا وأنا الدولة ، ووصفوا عصره بأنه أسوأ العصور ، وجد بعد ذلك فى فرنسا الديمقراطية من يقول إن عصره كان عصرا مشرقا ، وأطلقوا عليه اسم « الملك الشمس » .. وعلى هذا الأساس يجب أن تكون نظرتنا إلى تاريخ مصر ، فلم يكن كل ما حدث فى مصر قبل الثورة وأيام الباشوات سيئا .. ولا يمكن أبدا القول إن كل باشا كان نموذجا للإقطاع والفساد والبورجوازية - على باشا إبراهيم كان من أحسن جراحى العالم .. مورو باشا .. وغيرهما وغيرهما .. هناك باشوات خدموا مصر وهناك أفنديات على العكس خربوا مصر .. وقد وصلنا اليوم إلى درجة من الثقة تسمح لنا بعدم هدم صفحات مصر .. الفراعنة كانوا ملوكا كبارا ولكن صفحات مشرقة .. كل صفحة مشرقة يجب أن تعطى حقها ، وننسى فترة تشويه ما قبل الثورة ، ونقول إنها مرحلة اضطرت إليها » .

خشيت عليه من انفعاله وحماسه ، وهو يتحدث عن تاريخ مصر .. قلت كأننى أستعيده معى إلى طريق كنا نسير فيه ، وانعطفنا جانبا عنه : إنك لم تقل لى حتى الآن ماذا تقول للحاكم ؟

قال بلا تردد : « أريد أن أقول له أن يبدأ أولا بسؤال : ماذا تريد لمصر ؟

أريد أن أقول له إن مهمة الحاكم الناجح الذى يحب مصر أن يحدد مع معاونيه ومستشاريه إجابة هذا السؤال .

أريد أن أقول له إن على الحاكم أن يكون رأيه من خلال مستشاريه الذين يعتبر هو مسئولا مسئولية مباشرة عن اختيارهم فى مختلف الفروع ، لأن الحاكم الجيد هو من يستطيع أن ينتقى ويختار المعاونين والمستشارين الجيدين .. ولو قرأنا التاريخ لوجدنا أن عظماءه المشهورين مثل : نابليون ولويس السادس عشر وربما مثل محمد على ، كانوا جميعا يجيدون مقدرة انتقاء ، واختيار المعاونين الصالحين الذين فهموا رسالتهم ونفذوها .

أريد أن أقول إن رئيس الدولة هو مايسترو الأمة ، وقد سئل توسكانينى ، أكبر مايسترو عرفه العالم ، عن سر تفوقه فأجاب لأنه عندما كان يعد قطعة موسيقية كان يخصص وقتا خاصا لكل عازف يشرح له فيه على انفراد دوره ، ويحصل منه على أقصى ما يمكنه أن يعطيه من قدرة وكفاءة وموهبة ، ثم بعد ذلك فإنه عند اجتماعه بهم جميعا يسهل عليه إخراج القطعة الموسيقية التى يقود عزفها بعد أن ضمن إخراج أعظم ما لدى كل منهم .

قلت : ألا ترى أن الحكم فى بلد مزدحم بالمشاكل المتراكمة العاجلة يصعب فيها تركيبة المايسترو والموسيقيين ؟

قال توفيق الحكيم : المايسترو أسلوب عمل ، ولكن الأساس أن

نحدد أولا : ماذا نريد لمصر .. ؟ فى فترة الاحتلال الإنجليزى لمصر ، وهذه فترة عشتها ، كنا نريد مصر للمصريين - كان هذا مطلبنا فى سن الشباب .. ولكن هذا الهدف غير مطروح اليوم ، لأن مصر أصبحت فعلا للمصريين ، وإن كنت فى هذه النقطة أريد أن أتوقف عند ظاهرة غريبة جدا - ظاهرة عدم مشاركة أغنياء مصر فى بناء بلدهم - وهذا وضع غريب .. فعندما كنا ننادى بأن مصر للمصريين كان الإحساس العام لكل فرد هو الشعور بأن يقدم شيئا مفيدا يعود على البلد كله ، ويستفيد هو بدوره منه .. ولذلك وجدنا أغنياء مصر يشاركون فى إقامة الجامعات ، وعدد غير قليل من المشروعات . أكثر من هذا كانت هواياتهم الخاصة التى يمارسونها تستثمر فى تحقيق مشروعات عامة ، فوجدنا هواة جمع المخطوطات النادرة واللوحات ، يقدمونها لتكون منها المتاحف والمكتبات . دار الكتب ، التى تعتبر الآن أكبر مكتبة عامة فى مصر ، تكونت بالأساس من مكتبة تيمور وطلعت . الأغنياء فى دول العالم عادة هم الذين يساهمون فى بناء مستشفيات دولهم وجامعاتها ومكتباتها ، وهذا حدث بالفعل فى مصر ، وفى وقت كنا ننادى فيه ، ونتمنى فيه ، أن تكون مصر للمصريين - ولكن الشىء الغريب أن اليوم - ومصر للمصريين - لا نجد أغنياء مصر .. وأنا هنا لا أخاطب الحاكم ولكنى أخاطب كل من اكتسب مالا ، وأقول له إن التاريخ لم يخلد شخصا كان « عايش كويس » أو جمع مالا أو كام عمارة تركها لأولاده .. التاريخ لم يخلد ولن يخلد إلا الذين قدموا وأضافوا إلى بلادهم عملا له قيمة ..

كان ثائرا منفعلا على الدور السلبى للأغنياء فى بناء مصر ، وعلى الشعارات التى سادت ومنها شعار (اللى عنده قرش يساوى

قرش) تركته حتى أفرغ شحنة غضبه ، ثم عدت أسأله : لقد قلت إن على الحاكم أن يبدأ بسؤال : ماذا يريد لمصر ، وأنا أسألك من حكم نظرتك للأمور : ماذا تريد أنت لمصر ؟

قال وهو يغوص فى بحر أفكاره ، وتأملاته العميقة : مصر بلا جدال فيها مشاكل كثيرة ، وإذا كان جيلنا فى شبابه وضع هدفا له أن تكون مصر للمصريين ، فإن مسئولية هذا الجيل أن يكون هدفه : مصر للإنتاج .. الإنتاج وحده هو الذى سيحل مشاكل مصر ؛ لأنك لكى تجعل عجلة الإنتاج تدور فى مصر بطريقة فعالة فإنك لن تستطيع هذا حقيقة إلا إذا حركت جبال الأحجار الخاطئة التى تمنع انطلاقة الإنتاج . إن معنى هذا أن نعمل فى وقت واحد من أجل هدف واحد هو الإنتاج ، ولكن من طريقين – أحدهما : عاجل ، يحاول تلبية مطالب مصر العاجلة . عن طريق استنفار جهود الشعب ، واعتبار أنه فى معركة ، أما الطريق الثانى : فهو محاولة زرع القيم .. لأنه بدون ذلك سينهار أى بناء سريع تبنيه اليوم .. إن زرع القيم يحتاج إلى جهد سنين طويلة ، ولكنه ضرورة .. والتعليم فى رأيى هو المدخل الأساسى إلى إعادة هذه القيم . وأول قيمة أطالب بها هى أن يتحرر رجال التعليم أنفسهم من صفة الخوف التى تجعلهم يخشون التصريح بآرائهم فى تجارب تحتاج إلى مواجهة صريحة . مثل حكاية المجاميع ، ومثل الآلاف الذين يتم حشرهم ، ودفعهم إلى الجامعة كل سنة ، ليخرجوا منها للجلوس على مكاتب بلا عمل ، والتفاخر بأننا فى كل عام وجدنا آلاف الأعمال لآلاف الخريجين ، دون أن نسأل ما هذه الأعمال ، وما مقدار فائدتها وإنتاجيتها للمجتمع .

إن كل شيء يجب أن يناقش فى وضح النهار بغير شعارات ؛ وبغير حذف أو مداراة لما يعجب المجتمع النائم ، أو الجاهل ، أو الذى تعود على أوضاع خاطئة استمر فيها بدون وعى ..

قال توفيق الحكيم كأنه تذكر : أهم شيء أريد أن أقوله للحاكم هو أن أخطر ما يواجهه هو الخضوع لجملة « الشعب عاوز إيه » .. القضية ليست الشعب عاوز إيه ، ولكن الشعب يجب أن يكون إيه .. مش الشعب عاوز إيه أقوم ألبى له كل طلباته السهلة والرخيصة . من الطبيعى جدا أن الشعب بحالته التى هو عليها اليوم يتطلع إلى الحاجة السهلة - عاوز يضحك - عاوز حوافز والسلام .. هذا أكبر خطر يواجه الشعب والحاكم . لا يمكن أن أبدأ بسؤال : ماذا أريد لمصر ، دون أن أحدد مباشرة ماذا أريد من الشعب ؟ - لأن فى النهاية من الذى سيعزف اللحن المطلوب لمصر .. الشعب هو الذى سيقوم بذلك بقيادة الحاكم المايسترو .. والمايسترو هنا ليس فقط قائدا ، ولكنه مربٌ - إذا كان الشعب يريد السهولة فيجب أن يربيه الحاكم على مواجهة الصعاب ، ويعلمه ضرورة الإنتاج ، ويمنع عنه صرف الحوافز إلا للذين يعطون لبلادهم ، وبرامج الضحك تقدم بحساب ، والقيم يجب أن تكون الأساس لاحترام الفرد ، وليست الفلوس .

قال توفيق الحكيم : بعض الحكام قد يخافون من إيقاظ عقول الجماهير على أساس أنهم لو أيقظوا هذه العقول فستفكر وتتعبهم ، وهذا غير صحيح - الحاكم الناجح لا يجب أن يخشى من إيقاظ عقول الجماهير ، بل على العكس يسعد بذلك ، لأن هذه الجماهير ستؤيده بعقولها المتيقظة ، وتأييد العقل أسلم وأبقى وأصح من تأييد الوعى المفقود ...

قال توفيق الحكيم : أنا تركيزى على التعليم وعلى الجامعات لأن ما يحدث عندنا لا يمكن أن يخرج مثل العقول التى اخترعت القنبلة الذرية ، والتقدم الكبير الذى تحقق فى الدول الكبرى .. حتى روسيا لا يمكن أن يكون فيها نظام تعليم جامعى بمثل ما عندنا .. لأن الجامعة فى مصر أصبحت مثل الحج .. أعرف حجاجا يذهبون إلى بيت الله لكى يحصلوا على لقب حاج ، ودليلى على ذلك تصرفاتهم التى يمارسونها بعد عودتهم من الحج ، وهى تصرفات لا يمكن أن تتناسب مع تعاليم الذى حجوا بيته . وكذلك خريجو الجامعة .. فيهم كثيرون دخلوا الجامعة كى يقال إنهم حصلوا على شهادة جامعية ، ولكن عندما تمتحن ثقافتهم وسلوكهم تصاب بفجيعة ، وتجدها مثل تصرفات الحاج الذى ذهب للحج للحصول على لقب حاج فقط .



الفصل الرابع

توفيق الحكيم من الآخرة

زوار وورود بعد الوحدة والذبول - قال لى : « اترك لى أى أسئلة ، وأنا أكتب لك ردا مكتوبا عليها . » - سألته ضاحكا : « ماذا ستفعل فى الآخرة ؟ » وكانت المفاجأة ردا على ورق المستشفى فى ٦ صفحات - وبدأت أسأل وهو يكتب الإجابات ويسلمها - ثم كانت المفاجأة الأكبر : هو يكتب الأسئلة والإجابات ! - بعد عشر سنوات من كتابه « عودة الوعى » تحدث عنه .



تتابعت زيارتى لتوفيق بيه .. ، وفى الوقت نفسه توافد الزائرون عليه .. أصدقاء ورسميون ووزراء ، ومنهم وزير الثقافة فى ذلك الوقت المرحوم محمد عبد الحميد رضوان ، إلى جانب زوار آخرين كانوا فى زيارة أقرباء لهم فى المستشفى ، وعرفوا من الأحاديث التى نشرتها بوجوده فى المستشفى فوضعوا فى برنامجهم المرور عليه .. وبعضهم جاءه ومعه باقات الورود التى ملأت جنبات الجناح ، الذى كان قبل أيام يشكو من الوحدة والذبول .. ، وكان من بين الذين زاروا الحكيم الفنان كرم مطاوع الذى حمل إلى توفيق الحكيم اقتراح تمثيل مسرحية « إيزيس » ، وقد جرى بالفعل تمثيلها على مسرح الأزبكية ، بحضور الرئيس حسنى مبارك ، ومعه توفيق الحكيم بعد شفائه وخروجه من المستشفى .

ونتيجة لكثرة الزيارات لم أعد أستطيع الانفراد بتوفيق بيه ، كما كنت أفعل فى الأسبوع الأول ، قبل أن أبدأ نشر سلسلة الأحاديث التى أجريتها معه ، والتى استمرت سبعة أسابيع متتالية ..

ولم أكن فى حاجة من ناحيتى إلى مزيد من التسجيلات مع توفيق بيه ؛ فقد كان هناك رصيد كاف ، ولكن فى كل مرة كنت أزوره كنت أحس أنه فى حاجة إلى أن ينتحى بى جانبا ، ويتحدث لى على انفراد مجيبا عن أى سؤال .. وفى إحدى الزيارات سألنى : « إنت مش عاوز

تقعد معايا تسألنى ولّا إيه ؟ » وقلت له ما معناه إننى لا أريد أن أتعبه أكثر من ذلك ، ولكنه طلب منى أن أنتظر حتى يخرج الزوار الذين عنده .. وفور خروجهم اقترح علىّ أن أكتب له أى أسئلة أريد أن أوجهها إليه ، وسيسهر عليها ، ويجيب عنها كتابة ، ثم يسلمها لى فى اليوم التالى ..

وقلت له ضاحكا : إننى أريد أن أسأله عما سوف يفعله فى الآخرة بعد الموت .. قلتها على سبيل الضحك ، ووعدته أن أجهز له الأسئلة التى أريد إجابته عنها وأعود فى اليوم التالى ..

وانشغلت فى اليوم التالى ، وزرته بعد يومين ، وقد سألنى معاتبا فور دخولى عليه عن سبب عدم مرورى عليه فى اليوم السابق .. ثم بعد لحظات كانت المفاجأة حين مد يده إلى درج بجانبه ، وأخرج منه مجموعة أوراق تحمل اسم المستشفى ، وقد كتب عليها إجابة السؤال الذى سألته له قبل أن أفارقه فى آخر مرة ، وأنا أقول له ضاحكا : إننى أريد أن أسأله عما سيفعل فى الآخرة .. وفى أعلى الصفحة كتب توفيق الحكيم : « فى الآخرة (قضية التعليم) مع طه حسين » .

وبدأت أقرأ الصفحات وأنا فى حالة ذهول .. هذا رجل مريض مازال تحت العلاج ، وقد سألته سؤالا عابرا ، تصورته بالغ الصعوبة ، فإذا به يتعامل معه بجدية ، ويسهر فى نفس الليلة ليجيبنى عن سؤالى ..

لكن الأهم من ذلك الفكرة والحوار السهل الرشيق الذى جرى على ألسنة الذين التقى بهم فى الآخرة – طه حسين والعقاد ونجيب الهلالى .

ولم يكن ممكنا أن أنشر هذا الحوار الممتع فى ذلك الوقت . فقد

كانت المساحة المخصصة للمقال الأسبوعى الذى أنشره محدودة ، ولهذا ظلت تلك الوثيقة بخط توفيق الحكيم بين أوراقى طوال هذه السنوات ..

ورغم معرفتى بصعوبة النشر فى ذلك الوقت فقد تعودت أن أقول له سؤالا قبل أن أفارقه ، ثم أعود فى اليوم التالى ، أو بعد يومين لأجده جاهزا بالرد ..

سألته عن اعترافاته ، وهو يجلس كما صور نفسه على ضفاف الموت .. ، وكتب اعترافاته ..

وسألته مرة ثالثة عن رأيه فى القومية العربية ، وكتب ..

وسألته عن قضية الطفولة وقد ذكر لى مرة أنها من الموضوعات التى تشغله ، وكتب ..

وسألته عن مستقبل المرأة فى العالم وفى مصر خاصة ، وكتب ..

وسألته عن أزمة الفكر ، وأزمة المثقفين فى مصر فأجاب ، وكتب ..

وفى يوم فاجأنى بأنه كتب لنفسه الأسئلة والإجابات ، وكان الموضوع عن « عودة الوعى » - وهو الكتاب الذى أصدرته له دار الشروق فى عام ١٩٧٤ فى ٧٥ صفحة ، ولكنه أثار ضجة كبرى فقد كان أول كتاب يكتبه مثقف فى حجم توفيق الحكيم ينتقد فيه فترة حكم جمال عبد الناصر ، ويقول عنها :

لقد أهدى لى عبد الناصر كتابه « فلسفة الثورة » عند صدوره . وكان بالإهداء عبارة أشار فيها إلى كتاب « عودة الروح » : « مطالبا

بعودة لروح أخرى فى عهد الثورة » ... ولم يدر بخلدى وقتئذ أن ما سوف تحتاج إليه مصر بعد عشرين من عمر الثورة ليس « عودة الروح » ، ولكن « عودة الوعى » وهو كتاب لن أكتبه أنا .. لا .. لا شيخوختى وضعف صحتى هما وحدهما السبب .. بل لأن من يستطيع ذلك هو كاتب آخر من جيل آخر ، له من الحرية وعدم الارتباطات العاطفية ما يمكنه من الرؤية الواضحة ، والحكم المتثبت ، على عهد اختلطت فيه حقائق الأشياء إلى حد كان يرفع فيه الشعار ، ويعمل بنقيضه خلف الستار . فكلمة « الحرية » - مثلا - « وعهد الحرية » تجرى على الألسنة فى الخطب والأغانى والأناشيد ، وما من كلمة حرة واحدة لا يريدها الحاكم يمكن أن تخرج من الصدور ، وإلا دخل صاحبها السجون . لقد نجح الحاكم فى أن يدمج مصر كلها فيه . وأن يقنع مصر البالغة من العمر أكثر من خمسة آلاف عام أن عمرها هو عمر الثورة ونظامها ، وأن لا عمر لها قبل ذلك ولا بعد ذلك يستحق الذكر . هذه العملية البارعة لضغط مصر العملاقة ، ووضعها فى علبة الثورة ونظامها خنق مصر ، وأفقدها الوعى بحقيقة حجمها الهائل عبر التاريخ والأنظمة التى اجتازتها كلها وبقيت « مصر » .

إن معنى عودة الوعى لمصر هو استرداد حريتها فى الحكم بنفس الأشياء . وإنه ليحضرنى مثل جميل للحرص على وعى الشعب . إنه تقدم ديجول - وهو بطل قومى لفرنسا - للاستفتاء على رياسة الجمهورية . لقد تقدم معه خمسة من المرشحين . وقبل الاستفتاء العام سمح للجميع بفرص متساوية فى الصحف والإذاعات لعرض برامجهم . ونشرت إحدى الجرائد خمس خانات مصفوفة بالأرقام لا بالأسماء . ووضعت فى كل خانة برنامج المرشح ، ودعت قراءها إلى اختيار

البرنامج دون معرفة صاحبه ، ولم تذكر أسماء المرشحين إلا فى آخر صفحة . وأردت أنا أن أجرب فى نفسى هذه العملية ، واخترت إحدى الخانات ، وقد أعجبنى البرنامج الذى فيها ، وقلبت الصفحات لأعرف اسم من اخترت فإذا هو لدهشتى ديجول نفسه .. ، هكذا يرى الرأى العام الحر ويحرصون على وعى الشعب فى تلك البلاد . أما الاستفتاء الذى تطبّل له جميع الصحف مقدما بكلمة (نعم) بالخط الأحمر العريض ، ثم يخرج بنتيجة ٩٩,٩ ٪ فمعناه أن هذا البلد ليس لديه وعى ، ولا حرية ، بل ولا كرامة إنسانية .

فهل ستسترد مصر الوعى الحر يوما ؟ .. لذلك كان لا بد لكتاب « عودة الوعى » أن يكتب فى يوم من الأيام .

.....

.....

كان هذا ما سجله توفيق الحكيم من بين ما كتبه فى كتاب « عودة الوعى » الذى أثار يومها ضجة بالغة .. وبعد عشر سنوات من صدوره فى عام ١٩٨٤ جلس توفيق الحكيم وكتب خمسة أسئلة عن الكتاب كتبها فى ورقة منفصلة ، ثم كتب الإجابة عنها ، وأعطانى أوراق الأسئلة والإجابة ، ليضيف بذلك إلى ما سبق أن أعطاه لى مزيدا من الأوراق التى ظللت أحتفظ بها طوال تلك السنوات ، وقد جاء الوقت لترى النور ..

وأترك الصفحات التالية لوثائق توفيق الحكيم .. لأوراقه التى كتبها بخط يده فى المستشفى (وترد صور صفحات منها فى آخر الكتاب) ونبدأ بأول ما كتب .. « فى الآخرة (قضية التعليم) .. مع طه حسين » .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

شهادتــه الأخيــرة
وما لم يقرأه الناس للحكيم بخط يده

١ – فى الآخرة (قضية التعليم) .

٢ – اعترافات .

٣ – القومية العربية .

٤ – ما هو مستقبل المرأة فى العالم وخاصة فى مصر ؟

٥ – الطفولــة .

٦ – هل توجد فى مصر أزمة فكر ؟ وأزمة مثقفين ؟ وأزمة متعلمين ؟

٧ – عودة الوعى .

٨ – كامب ديفيد .



١ - فى الآخرة (قضية التعليم)

مع طه حسين

ـــ ما حكاية كلمتك « التعليم كالماء والهواء ؟ »

ـــ ماذا تقصد ؟ الماء والهواء شىء معروف .

ـــ نعم ولكنه يحتاج إلى تحديد - فالماء على أنواع منه ماء الترع والمستنقعات ، وماء الحنفيات ، وماء الينابيع ، وماء الثلوج فوق الجبال .. كما أن الهواء يختلف ، فهناك هواء الحجرات المغلقة ، كما أن هناك هواء الفضاء الطلق ..

ـــ أنا عارفك كل شىء تعقده وتفلسفه .. ولكن قصدى معروف ..

ـــ نعم معروف بمعنى ليس واحدا ، بل بكثير من المعانى تبعا للرغبات أو المزايدات ، وانتهى كل شىء إلى معنى قيام الدولة بكافة مصروفات التعليم لكل المراحل ولكل شخص .. أى التعليم المجانى للجميع فى جميع المراحل ، أى أصبح التعليم كالقطار المجانى يركب فيه كل شخص مادام بدون تذكرة ، وأحيانا بدون هدف إلى أن يقذف

القطار بركابه فيخرجوا يهيمون فى الشوارع لا يعرفون ماذا يفعلون ، ولا يذكرون ماذا وجدوا فى القطار غير بعض أشخاص يلقون كلاما ، ويبيعون لهم قراطيس أو ملازم فيها فتات أطعمة ، ويختفون وينتهى بهم الأمر إلى الجلوس على مكاتب يحشرون فيها مع ألوف البشر . وكثرت المكاتب وقل الإنتاج .

ــ أنا غير مسئول عن النتائج .

ــ ولكن كلمتك هذه أصبحت من المسلمات التى لا يفكر أحد فى تحليل مفهومها ولا تقدير نتائجها ..

ــ قل لأهل بلدنا مصر .. إن الاشاعات فيها ، والكلمات تفسر حسب الأغراض والرغبات ، وتصبح مسلمات ، وليس كلها ، فأنا قلت مثلا : إن مصر من بلاد البحر الأبيض المتوسط ثقافة وحضارة فعارضنى كثيرون . لماذا(★) ؟

ــ لسبب بسيط لم تفطن أنت إليه .. وهو أن البحر الأبيض المتوسط عبارة عن بحيرة كبيرة شاطئها الشمالى هو أوروبا ، بلاد الغابات والأساطير ، أما شاطئها الجنوبى فهو أفريقيا ، بلاد الصحراء ورسالات الأنبياء ، فلا بد أن تضع فى الاعتبار اختلاف الحضارتين بهذا المفهوم ، وهو أن أهمية الدين والإيمان الإلهى شىء أساسى فى هذه الحضارة عندنا .. وهناك وجه شبه كبير بين كلمتك عن حضارة البحر الأبيض المتوسط ، وبين كلمة الخديوى إسماعيل عن أن مصر قطعة من أوروبا .. وكان يجب التحليل بعمق عن جذور كل حضارة .

(★) وردت هكذا فى نص الوثيقة .

وكان عباس محمود العقاد على مقربة فسمع وقال :

ـــ هذا طه حسين وأسلوبه .. بارع فى إطلاق الشعارات .. دون توضيح فقرة أن التعليم كالماء والهواء يحتمل أى معنى ، وأنا مثلا أفهم معناه السليم على أنه التعليم المجانى الذى تلتزم به الدولة هو التعليم الأوّلى فقط .. أى تعليم القراءة والكتابة والحساب البسيط لكل شخص .. أى محو الأمية الأبجدية .. فلا يقبل أبدا من أى مواطن أن يجهل قراءة صحيفة ، أو كتابة اسمه ، أو حساب مصروفاته ودخله .. ، لأن هذا يعتبر جزءا من شخصية كل مواطن ، خصوصا فى بلاد إسلامية ، لا بد أن يعرف المواطن المسلم أن يقرأ المصحف الشريف .. أما المراحل الأخرى من التعليم فلها شأن آخر . وقد عرفت مصر بالذات نظام المجانية فى التعليم على أساس التفوق أو الفقر .. فكان فى المدارس ما يسمى مجانية تفوق .. ثم مجانية فقر .. أما إطلاق المجانية بغير حدود فقد أدى إلى نتائج عكسية فى كثير من الأحوال ..

ـــ وهل التعليم الابتدائى وحده يكفى ؟

فقال العقاد متحمسا :

ـــ يكفى جدا لمن عنده رغبة وطموح .. وأنا شخصيا المثل الحى لذلك .. لم أدخل غير المدرسة الابتدائية ، وتعلمت القراءة والكتابة ، ولغة أجنبية هى الإنجليزية بمستوى أولى بدائى جدا .. وأكملت بقية ثقافتى بمطالعاتى الشخصية ، حتى أصبح العقاد كما تعلمون فى مستوى ثقافى لم يبلغه أكابر دكاترة الجامعة .. كما أن حاكما من أكبر حكام أمريكا – هو لنكولن محرر العبيد – كان راعى غنم لا يعرف غير القراءة .



ثلاث زائرات للمستشفى عرفن بوجود توفيق الحكيم وقمن بدخول جناحه والحديث معه .

وكان يجلس بين الغنم يطالع ما يقع فى يده من كتب وما يجده فى مكتبات قريبة . وثقف عقله بنفسه حتى نجح فى انتخابات البلد إلى أن أصبح رئيس أمريكا .. وقل مثل هذا فى أيامنا هذه : فأكبر كاتب ومفكر فرنسى وهو أندريه مالرو ، الذى كان وزير ثقافة ديجول ، لم يدخل الجامعة ، ومع ذلك ألف من الكتب العظيمة ما لم يؤلفه أكبر أساتذة السوربون .. ، فالقراءة والكتابة فقط مع الطموح وحب الاطلاع من الممكن أن تجعل الشخص يضع بنفسه جامعة له تضاهى الجامعات الرسمية المفتوحة للجميع ، ومنهم من ليس عنده أى استعداد أو طموح

للمعرفة أو العلم فى ذاته .. بل الحصول على شهادة أو رخصة للتوظف فى أى مكان ..

ـــ ولماذا لم تكتب لتعارض طه حسين فى حكاية « الماء والهواء » هذه ؟

فقال العقاد :

ـــ مع الأسف . نحن بلد تجعل من مجرد الشعارات مقدسات . لأن القدرة والشجاعة على التحليل لاستخلاص ما يثبت صلاحه ، وتعديل أو استبعاد ما ثبت ضرره ، أو عبثه ، أو مجرد القيمة الدعائية فيه ، لم يجرؤ مفكر على الإقدام عليه .

قلت للعقاد :

ـــ الإقدام موجود ، ولكنه اختلف قليلا اليوم : فالإقدام لم يعد هو الإقدام على فتح العقل ، بل الإقدام على فتح الجيب .

وظهر على العقاد أنه لم يفهم .. وتصادف مرور وزير تعليم سابق هو نجيب الهلالى . كان نجيب الهلالى المستشار القانونى ، أو كما كان يسمى فى الماضى المستشار لوزارة المعارف سابقا (أى التعليم اليوم) وكان قد انتدب للتحقيق فى قضية الرشوة التى قيل إنها اقترنت بإنشاء « كورنيش » الإسكندرية الذى تم فى عهد حكومة إسماعيل صدقى ، وقد قام نجيب الهلالى بالتحقيق على أتم وجه ، ودخل علينا فى مكتب العشماوى بك وكيل الوزارة ، وكان صديقه ، وزميله القديم فى الدراسة ، وكنت أنا مدير التحقيقات بالوزارة . فلما دخل علينا

المكتب نجيب الهلالى ، وكنت أنا موجودا ابتدره العشماوى بك قائلا ومرحبا : « إنى ألمح فى وجهك ملامح وزير فى الوزارة القادمة » . فأجابه الهلالى بك باسما : « أعوذ بالله ، إن الوزير يفقد نصف عقله عند دخول الوزارة » ، فقلت أنا مازحا : « ويفقد النصف الآخر عند خروجه منها » ، ولم تلبث أن سقطت الوزارة وجاءت وزارة جديدة برياسة توفيق نسيم باشا .. وجاء فيها نجيب الهلالى وزيرا للتعليم . وإن كان يقال إن رئيس الوزارة جاء به مكافأة له على براعته القانونية فى إنقاذ توفيق نسيم من ورطة وقع فيها ، وهى أنه أحب فتاة نمساوية كان قد نزل فى فندق والدها بفيينا ، واتفق معها على الزواج وهو فى السبعين . وقامت فى مصر القيامة خصوصا من أسرته التى اتهمته بالسفه . ودافع عنه نجيب الهلالى ببراعته وأنقذه .. المهم أنه أول ما جاء في وزارة التعليم اتجه فورا إلى دراسة « التعليم الأوّلى » على الطبيعة بأن دخل فصلا فى مدرسة أولية بإحدى القرى بدون إخطار ، واقترب من السبورة ، ونادى أحد التلاميذ فى المرحلة الأخيرة ، وأمره بكتابة اسمه على السبورة ، فكتب الاسم بخط ردىء بأخطاء فى الهجاء . فأدرك الوزير أن الملايين التى تنفق فى محو أمية هؤلاء الأطفال لم تسفر عن نتيجة مؤكدة ..

وسألت الهلالى فى الآخرة :

ـــ وماذا فعلت أنت علاجا لهذه الحالة في التعليم الأولى ؟

قـــال :

ـــ لم أستطع فعل شىء . لأن الوزارة لم تلبث أن سقطت .

ـــ واشتغلت أنت بالسياسة .

ـــ طبعا أحسن من الجلوس فى البيت بلا وظيفة .. وفتحت مكتب محاماة ، ولكن السياسة استدعتنى فلبيت . ثم سئمت ، ولزمت بيتى ، ورشحت طه حسين وزيرا للتعليم . فجاء بشعاره « التعليم كالماء والهواء .. » . وقلت أنا فى ذلك العهد لمن أعرفهم من رجال التعليم إننا نستطيع بأبسط الوسائل أن ننشر التعليم الأولى بدلا من إنفاق الملايين بطريقة الوزارة .. ؛ فوزارة التعليم لا تعرف من التعليم إلا أنه مدارس وفصول ، وموظفون ، وفراشون ، وجرس يدق .. وأنا من رأيى أن محو الأمية بين أطفال الفلاحين يكفى فيه سبورة تعلق على شجرة جميز فى الغيط ، ومدرس يجمع الأولاد حوله ، ويعلمهم القراءة والكتابة ، دون أن يغادروا الغيط ، مع إنشاء مكتبة فى القرية فيها كتب للأطفال تؤدى هذا الغرض .. ؛ فمحو الأمية الأبجدية ، وتوفير الكتاب للطفل بدون إبعاده عن جو الغيط سيجعل منه الفلاح المستفيد المنتج .. أما الذى يحدث اليوم – كما قال لى أحد الفلاحين – فهو أن أولادهم يذهبون إلى المدن للتعليم ، فلا يريدون العودة إلى الغيط بعد ذلك . ولهذا ، ولأسباب أخرى ، نقص عدد الفلاحين المهرة الجيدين .. ، كما زاد كثيرا عدد أنصاف المتعلمين والمثقفين ممن تقذف بملايينهم الجامعات ، فلا ينبغ منهم غير عدد ضئيل جدا ، بالقياس إلى الملايين التى يتكون منها شعب ضعيف التكوين ، أصبحت كتلته الضخمة هى التى تتحكم فى اتجاه السياسة والثقافة والحضارة والإدراك الصحيح للديموقراطية .. وبذلك حدثت فى مصر أعجوبة أو معجزة هى : انقلاب الهرم الأكبر ، بحيث أصبحت قاعدته العريضة هى العليا ، وقمته الصغيرة هى السفلى ، وساعد على انقلاب الهرم جهاز التليفزيون الذى يلعب به أهل القاعدة

العريضة .. والقاعدة العريضة فى البلاد الاشتراكية والشيوعية ليست هى التى تقود بل هى المشرفة الراعية لتقدم القاعدة العريضة ، فالهرم الفعلى لم يبق هنا .

ــــ وما الذى تراه الآن لإصلاح التعليم ؟

ــــ أرى ما يراه بعض الطلاب الذين زارونى وقالوا فى اختصار شديد : نطالب بإلغاء نظام المجانية فى التعليم . وأن يوضع بدله نظام المجانية للكتب الدراسية ، والدروس الخصوصية . فسألتهم الإفصاح والتفصيل فقالوا :

ــــ إن المبالغ التى يدفعونها ، ويتحمل أعباءها أهلهم ، ليست فى الحقيقة مصروفات التعليم ، لأنهم حسبوها فوجدوها أقل كثيرا جدا من أثمان الكتب ، وأجور الدروس الخصوصية .. ، وأن الحكومة - إذا تقاضت منهم مصروفات دراسة فى أول العام ، حتى ولو دفعوها مرة واحدة - فإنهم وأهلهم يستطيعون تدبيرها ، ولو بشغلهم الشخصى فى إجازات الصيف وبعد ذلك يستريحون طول العام بعد أن تسلموا مع دفع المصاريف الدراسية كل كتبهم كاملة مرة واحدة .. كما أن الضعفاء منهم يمكن أن تُخصَّص لهم بعد الظهر دروس خصوصية ، تدفع الدولة أجورها .. وبهذا يستريح الأهل المساكين من هذه الكوارث المالية التى يضطرون إلى تحملها كل عام لأبنائهم .. ، وبما أن هذه التكاليف المادية يتحملها الموسر منهم والفقير ، وليس فيها تكافؤ فرص ونحو ذلك من الشعارات الفارغة ، فلماذا لا يسمح بإنشاء جامعات خاصة بأموال الأثرياء لامتصاص عدد من الأماكن التى يزاحمون الطلبة الفقراء عليها .. وهم الفقراء فقط الذين يجب أن يتمتعوا بالمجانية .. بدلا من

تعميم النظام المجانى للغنى والفقير معا ، عملا بالشعار الرنان : إن التعليم كالماء والهواء ، أى أن الماء والهواء مما يتمتع به الغنى والفقير على السواء ، فالتعليم يكون كذلك .. هذه أشياء لا تبحث ، ولا تدرس اليوم ، خوفا من رد فعل بعض حملة الشعارات .. التى أطلقها بعضنا نحن ، وليست من بلاد أخرى يسارية أو يمينية ، فنظام تعليمنا لا يمكن أن يكون مشابها بالماء فى بلاد أخرى .. ، ومادام الخوف هو الذى يجعلنا لا نغير شيئا .. ، فلنبق كما نحن بلا حركة ولا تفكر ولا تقدم .. والله تعالى يقول فى كتابه الكريم : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ صدق الله العظيم . ومادام ما بأنفسنا لا يحتاج إلى أى تغيير فى نظر المسئولين عن التعليم ، فليبق كل شىء مستمرا على حاله بلا تغيير ما دمنا نخاف التغيير والتفكير ، والله ولى التوفيق .

٢ - اعتـرافــــات

اعترافاتي – وقد اقترب موعد مغادرتي هذه الحياة الدنيا – أمر طبيعي . والاعترافات عندئذ تكون عن ذنوب وآثام تكمن في الضمير ، ولم تعلن بسبب الخوف والخشية . وفي حالتي هذه لا مكان لخوف أو خشية . فهل أخشى من إعلان ما يعلمه الله تعالى ، وأنا أرجو لقاءه عن قريب ؟ والله يعرف أني قصرت في عبادته . فقد كانت صلاتي له داخل قلبي ، في لحظات كثيرة ، من يومي وليلي ، وليس في أوقات محدودة معدودة .. وكنت كبعض المتصوفين الملاعين الذين ظنوا أن هذا وحده يكفي .. ، ونسوا أن الخالق الأعظم لنا ولدنيانا وآخرتنا ينظر إلى تصرفنا للدنيا والآخرة معا .. أما الآخرة فهي له ، وأما الدنيا ، وما نمارسه فيها هو أيضا للبشر كافة . والشعائر التي أوصى بها من صلاة وصيام وزكاة ونحو ذلك لا بد من إقامتها ، ليس للآخرة فقط ، بل أيضا للدنيا ، وللبشر أجمعين ، وأن أي إهمال لها قد يصبح مثلا سيئا ، ومدخلا سهلا لكل من تابع المهملين والمقصرين للشعائر ودفعهم إلى تقليدهم ، والتشبه بهم ، فتختل بذلك قوائم وقواعد وأسس الدين كله .

فاتتني فكرة القدوة الصالحة هذه ، فأصبحت ذنبا يقتضي العقاب عليه في الآخرة ، وأنا مقر بذلك متوقع له لأنه عدل وحكمة من الله عز وجل . على الرغم من أني بعد ذلك اهتديت إلى السماحة في الإسلام بقبول الصلاة في فراشي ، والتيمم بما هو طاهر . ولكن ذنبي القديم قائم ، وأعترف به ، وأتقبل عقوبته .

أما الزكاة وهى من أسس الإسلام التى من الممكن أن تحل مشكلات كثيرة فى المجتمع ، لو طبقت بنظام دقيق ، ولكنها مع الأسف متروكة لإرادة الناس ، فأصبحت أشبه بالتبرع لا بالفرض الواجب .. وبعض الناس لا يعرف لمن يدفع الزكاة ، وقد اكتظ المجتمع الحديث بالدجالين والمحتالين .. وعندى اقتراح مهم أرجو أن ينفذ يوما ، وهو أن يضم فرض الزكاة وسداد مبلغها ، إلى فاتورة الكهرباء ، أو التليفون ، وبذلك يقطع النور والمكالمات عند عدم دفع المبلغ كله بما فيه الزكاة ، وبعد ذلك يرسل المبلغ المقرر للزكاة إلى الجهة التى تتولى توزيعه ، وتوظيفه للخدمة العامة ، حسب سياسة تدرس وتضعها الدولة . لأن الزكاة فيها ناحية مادية ، وهو خروج مال من جيب الشخص ، وهو ما يشق على أكثر الناس ، إلا إذا كان الفرض مصحوبا بإجراء عاجل ، مثل قطع النور أو التليفون عند عدم سداد الفاتورة التى تشمله .

وهل للمال ، ودفع المال أهمية كبرى عندى ؟ سؤال مهم .. والجواب : ليس المهم حب المال ، ولكن المهم العمل على اكتسابه ، والسير فى الطريق المؤدى إليه . وطريق المال يختلف تماما عن طريق الفكر .. وأعمالى الأدبية كلها لم تكن من النوع الذى يأتى بالمال . وإذا حدث أن نجح وراج كتاب أدبى ، أو فكرى ، وجاء بمال كثير فإن صاحبه الأدبى المفكر يفاجأ بذلك . كمن يتزوج مدرسة حساب تلبس نظارة طبية فى مدرسة بنات ابتدائية ، فيفاجأ بانتخابها ملكة جمال ! .. طبعا يسره ذلك ، ولكنه يدهش له ؛ لأنه لم يكن فى حسبانه ذلك النجاح . كما قد يندهش من يتصور أن مسرحياتى التى قاربت المائة لم تنجح واحدة منها النجاح الذى يدر ربحا يذكر ، أو تنجح جماهيريا النجاح الذى

يذكره جمهور المسرح .. وعندما شاع عنى أنى أجيد الحوار طلب منى أهل السينما أن أكتب حوار السيناريو للعديد من الأفلام التى تظهر ، وقدروا الربح السنوى الذى يدخل لى من ذلك فرفضت .. ولرفضى المستمر لكتابة الروايات العاطفية المربحة ، والمقالات الصحفية المثيرة ، كنت أطلب الأجر المرتفع جدا الذى يفزع من يطلب منى ذلك . وبذلك شاع عنى حب المال ، ولم يعرفوا أن قصدى الحقيقى هو إبعاد وتطفيش من يطلب منى هذه الكتابات . وأذكر أن المرحوم التابعى أراد منى مقالا فبدأ إغرائى بقوله : إن أكبر أجر للمقالة يعطيه لطه حسين فى ذلك العهد هو مبلغ ثلاثة جنيهات للمقال .. ولكنه سيعطينى أنا ثلاثة جنيهات ونصفا (كان ذلك منذ نحو نصف قرن) فكتبت له مقالا ، أغضب رئيس الحكومة وقتذاك محمد محمود باشا ، فقرر طردى من وظيفتى ، (كنت مدير تحقيقات وزارة المعارف) ولكن صديقى الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وكان وزيرا فى وزارته ، استطاع أن يقنعه بالاكتفاء بخصم نصف شهر من مرتبى .. وانتشرت الإشاعة بأنى أحب المال ، وتركتها أنا تنتشر .. إلى حد أن العقاد صدق ذلك ، كما صدقه طه حسين ، فكان كل منهما يشترط أن يكون أجرهما فى كتاب أو مقال ، مساويا لأجرى . وكنت أذكر لهما أنه مقلب لهما ؛ لأنى فى الحقيقة أقبل الأجر القليل للأعمال الفكرية المحدودة التوزيع . وليتنى كنت فى الحقيقة أعمل من أجل المال لكنت فى الحقيقة ثريا . ولكنى أعيش بالستر فقط ، وبما يكفى لمعيشتى العادية جدا .. وهذا واضح ..

والبخل ؟ .. البخل أيضا إشاعة كان من أهم المروجين لها « أم كلثوم » . اجتمعنا فى وليمة . فسألت المدعوين : هل سبق أن حضرتم وليمة على مائدة توفيق الحكيم ؟ . فأجابوا كلهم بالنفى ، وأن

ليس لى مائدة . ثم تقابلنا بعد ذلك فى وليمة كان فيها العقاد والمازنى ، فطلبت من كل منهما التبرع لنقابة الموسيقيين التى كانت هى وقتها رئيستها . وجاء دورى فأخرجت لها محفظتى فوجدتها خالية .

فقال لها المازنى : ابحثى فى علبة نظارته ؛ لأن المازنى كان يعلم ذلك ؛ لأنى سبق أن قلت له : إن المحفظة معرضة للنشل ، أما النظارة الطبية فمن ينشلها ؟ ففتحت علبة النظارة فوجدت ورقة مالية بخمسة جنيهات ، فأخذت النقود ، ثم أعادت لى علبة النظارة ، وهى تقول بما اشتهر عنها من النكات : « إنت حاطط الفلوس في عينيك » . وهكذا شاع عنى حب النقود والبخل .. ولا أريد الآن أن أدافع عن نفسى .. فأنا هنا فى مجال الاعتراف ، ولا محل للإنكار والتبرير .. وقد تكون الإشاعة صحيحة .. فليكن .. فحياتى كلها لا أحبها ، ولا تستحق عندى الدفاع عنها ..

وعداوة المرأة ؟ .. هذه أيضا السبب فى اتهامى بها يرجع إلى امرأة أخرى مشهورة هي « هدى شعراوى » ، بسبب مهاجمتى لأسلوبها فى تشكيل عقلية المرأة المصرية ، وخاصة البنات ، بأن حذرت الجميع من الاستمرار فى حياة الجوارى ، وخدمة الرجال والأزواج فى البيت ، لأنهن مساويات للرجل فى كل شيء .. واشتكى لى بعض الأزواج من البنات والزوجات طراز « هدى شعراوى » فهمهن لرقى المرأة على أنه استعلاء على الرجل ، وعدم العمل والخدمة فى البيت .. فكتبت فى ذلك كثيرا ، ونصحت الزوجة الحديثة بأن تعرف على الأقل أن تهيىء الطعام لزوجها ، .. وأن أسهل صنف يمكن أن تطبخه له هو « صينية البطاطس » فى الفرن .. ، ونشرت مجلة مشهورة حديثا لى وقتذاك

بعنوان مثير وهو ، « لا توجد زوجة صالحة فى مصر » ، ولم تكن النتيجة فقط إلصاق « عدو المرأة » بى من هدى شعراوى وزميلاتها من سيدات مصر وتلميذاتها من الشباب ، ولكن امتد الغضب إلى القصر الملكى نفسه ، وظنت الملكة نازلى - فيما أعرف - أن المرأة غير الصالحة فى مصر تشملها هى أيضا ، فطلبت من على ماهر باشا ، وأظنه كان رئيسا للديوان الملكى ، العمل على طردى من وظيفتى بالحكومة .. لولا أن وقف بجانبى رجال الأزهر الذين رأوا فى نقدى لهذه المرأة الحديثة بهذا المسلك ما لا يصح فى نظر الدين .. ولكن بقى دائما لاصقا بى وصف « عدو المرأة » .. ونسيت الأسباب التى كانت الأصل .

ولا أريد هنا أيضا التبرير أو الدفاع عن نفسى ، فربما كنت أكره المرأة فعلا ، لكثرة ما كانت هى السبب فى العديد من مشاكلى ، ولكنى مع ذلك أحبها كأنثى ، خلقها الله تعالى لنا مودة ورحمة .

ولقد اعتقد بعض الناس أن « البخل » و « عدو المرأة » ليست أكثر من أساليب دعاية عن رجل الفن والأدب ، كما كان يقال عن برنارد شو إنه يلبس أحيانا ملابس ملونة لافتة للنظر ، ويذهب بها فى المجتمعات الممتلئة بالجماهير مثل سباق الخيل . ولذلك كان من السهل تصور أن هذا يحدث معى ، خصوصا إذا أضيف إليه « العصا » و « الحمار » و « البيريه » ونحو ذلك .. والحقيقة التى لم أهتم بقولها هى أنى أفقر خيالا وذكاء وابتكارا من برنارد شو .. وأن كل هذه الوسائل التى اعتبرت دعايات من ابتكارى كانت لها ظروفها الحقيقية فى الواقع ، ولم يكن لى يد فيها ، أو التفكير فى استخدامها ، إلا بعد أن شاعت فأستمر فيها ، ولا أحاول تكذيبها ؛ لأنى أعتقد أن التكذيب يثبت ولا ينفى ، وأن

من يقال عنه إنه مجنون فيكذب ويقول إنه عاقل فإنه يثبت جنونه . ولذلك كل إشاعة عنى أستمر فيها ، وأؤكدها ، ولا أحاول نفيها . إلا ما كان فيه ضرر للغير . فأنا أعترف بأنى لست طيبا ولا خيّرا ، ولكنى أقسم أنى لم أضر أحدا ، ولم أتسبب عمدا فى الإضرار بمخلوق . حتى الصرصار الذى يسير أمامي لا أحاول أن أدوسه بقدمي .. بل أتركه يعيش حياته . قد أبعده عنى بوسائل أخرى تفاديا لضرره هو . وفى رأيى أن الدعاية ذاتها لعمل أو إنتاج لا يشين صاحبه ، ما دام لا يضر بالغير .. وكنت أرحب أن أكون أنا المبتكر والمبدع للدعايات عن أعمالى . ولكننى قليل الحيلة والقدرة والتفكير العملى فى ذلك . وقد أضعت على نفسى بنفسى فرصا ناجحة فى هذا السبيل .. أهمها أن فرصة نادرة للشهرة والضجة فى باريس قد أضعتها ، وملخصها أن إدارة المسرح القومى الفرنسى « الكوميدى فرانسيز » أرسلت لوزارة المعارف عام ١٩٤٩ فيما أذكر أن مسرحيتى « شهرزاد » قد تحمست لها لجنة القراءة هناك ، وكتب رئيسها الأكاديمى الكبير ، وناقد جريدة « الموند » الشهير – روبير كمب – تقريرا يتحمس لها حماسا قلّما كتبه عن مسرحية أخرى ، وكان من نتيجة ذلك أن مثلت فى باريس بالفعل هذه المسرحية ، وإذا بجريدة « الموند » تظهر بمقال عن المسرحية بقلم هذا الناقد والأديب ورئيس اللجنة التى تحمست لها ، وهو روبير كمب نفسه ، يهاجم المسرحية هجوما عنيفا منصبا كله على المؤلف المصرى ، دون أن يذكر أنه سبق أن قرأها أو عرفها .. فدهشت ولزمت الصمت ، ولم أعلن ذلك حتى اليوم ، مع أنها كانت فرصة ، والمستندات فى يدى حتى الآن لأنشر موقف هذا الكاتب الفرنسى الشهير . وقد عرفت الدافع له وهو أن مصر ذلك الوقت – عام ١٩٥٥

عندما مثلت هذه المسرحية - كانت تساعد ثورة الجزائر ضد فرنسا . فالقضية إذن هى : هل تؤثر السياسة فى الرأى الفنى والأدبى ؟ وأين ذلك ؟ فى فرنسا بلد الحريات والأدب الحر كما يقال . ؟ لو عرضت هذه القضية ، والمجرم فيها متلبس بالتهمة .. فأى ضجة وأى دعاية للمسرحية كانت تدوى أهم من نجاحها الفنى مائة مرة ؟ .

فهل يسكت عن هذا الموقف ، ويضيع هذه القضية بالصمت التام إلا مؤلف عاجز الإدراك لمصلحة عمله . وقد توفى هذا الناقد منذ سنوات تاركا تحت يدى حتى الآن مستندات موقفه غير الحر .

هذا كل ما أنكره من حياتى التى تسيل كالماء القراح ، بلا طعم ولا رائحة ، من حنفية كنت أود أن يكون أمرها بيدى لأغلقها ، حتى لا يسيل ماؤها بلا ضرورة . لا هداية لى فيها ولا مرة . مجرد عقل يتحرك فى فراغ كطاحونة بغير بُنٍّ ، وساقية تدور بغير ماء .

٣ - القومية العربية

من العبارات الشائعة عبارة « مصر للمصريين » ، ثم عبارة « القومية العربية » ، ولعدم الربط بين العبارة ومصدرها التاريخى فإنها تصبح عندنا مجرد عبارة إنشائية . فإذا رجعنا إلى المصدر وعرفنا أنه نبع من ثورة ١٩١٩ ، عندما ظن المحتل الإنجليزى أن طلبنا إنهاء احتلالهم معناه عندنا عودة مصر إلى الخضوع للنفوذ العثمانى ، صاح زعماء الثورة إن مصر تطلب الاستقلال التام ، ومعناه عدم الخضوع أو الانتماء إلى أى دولة ، وأن مصر هى للمصريين . ثم جاءت ثورة ١٩٥٢ ، وخرج الإنجليز من مصر ، فأصبح ذلك معناه أن مصر أصبحت بالفعل والواقع هى للمصريين . ولم يصبح لشعار ثورة ١٩١٩ وهو « مصر للمصريين » الضرورة الحيوية التى كانت له .. ولاحظ ذلك عبد الناصر بذكائه ، وأدرك أن الدول العربية مفككة الروابط ، ولا هدف لها يربطها فى وحدة متماسكة ، ونشأ عنده - كما ذكر فى كتاب « فلسفة الثورة » - حاجة الدول العربية إلى رباط يربطها ، ويوحدها ، تحت زعامة قوية .. ، فنشأت عنده فكرة إمكان تنفيذ « القومية العربية » للدول العربية . فالثورة ١٩١٩ جاءت بفكرة واتجاه . وثورة ١٩٥٢ جاءت هى الأخرى بفكرتها واتجاهها . والثورات حلقات فى عمر الأمم .. ولا يمكن شطب حلقة ، أو إلغاؤها من عمر إنسان أو شعب . ولكن يمكن نقل الصالح من حلقة إلى حلقة ، كما يمكن إصلاح الفاسد من إحداها .. والإسلام نفسه ، وهو من عند

الله تعالى ، لم يعمل على إلغاء الجاهلية ، أو الأنبياء السابقين . بل ألغى فقط الفاسد منها الذى لا يرجى إصلاحه ، واستبقى الصالح للبقاء أو الإصلاح .. وهذا ما حدث فى الثورات الكبرى فى الأمم الكبيرة فهى بعد فترة العنف الأولى تبدأ فى الاتزان ، والنظر إلى ماضيها فى التاريخ بموضوعية وميزان عادل دون هدم تام . هكذا فعلت الثورة الفرنسية والثورة الروسية .. فاحتفظت الأولى بقصر فرساى واللوفر ، واحتفظت الثانية بالكرملين وآثار بطرس الأكبر .

ــــ ولكن القومية العربية لم تتحقق حتى اليوم .

ــــ طبعا لأنها الأصعب . فالخلاص من الاحتلال العسكرى الأجنبى ممكن بالسياسة ، أو بالقوة . أما إنشاء قومية تضم بعض الدول فإنها لا يمكن أن تنتج باستعمال السياسة أو القوة . لأن الاحتلال شيء مادى يمكن علاجه بالشيء المادى ، كالسياسة أو العنف . ولكن القومية ليست كلها بالشيء المادى بل فيها عناصر روحية ومعنوية ، لذلك لا يكفى فيها مجرد الإخضاع ، أو الفرض الإجبارى ، بوسائل مادية .. لذلك لم تنجح النجاحَ المطلوبَ . « الجامعةُ العربية » ؛ لأنها أنشئت على أساس سياسى ، والسياسة رمل متحرك . فالبناء على أرض من الرمل المتحرك هو بناء مهدد دائما بتحرك هذا الرمل .. ومن رأيى أن تقوم « الجامعة العربية » على أرض ثابتة ، لا تتغير ؛ لأن فى أغوارها جذورا قديمة ثابتة فى كل دولة وكل فرد فيها . والجذور الثابتة فى أعماق العالم العربى هى جذور روحية وثقافية .. ؛ فجذور الدين مغروسة فى أعماقهم من قديم ، وجذور تراثهم اللغوى العربى حى نابض فى كيانهم دائما ، تربطهم حباله برغم البعد والخلافات السياسية

الوقتية ؛ فجذورنا الروحية والثقافية هى إذن الباقية الراسخة دائما . لذلك اقترحت - ومازلت على رأيى - فى أن تكون « الجامعة العربية » قائمة على أسس « روحية وثقافية » وليس على أساس سياسى . ولما كنت شخصيا ضد أى هدم لأى بناء قائم .. إلا إذا سقط من نفسه أو كاد ، لهذا أقترح الآن البدء بإنشاء جامعة ثانية إلى جانبها هى : « جامعة الدول العربية الروحية والثقافية » وأن تكون بعيدة عن المتغيرات السياسية . ومهمتها المحافظة على روابط العرب الراسخة ، والسعى بهم نحو التقدم الحضارى . والبعد عن الخلافات والمنازعات ، وتركها لاختصاص « الجامعة العربية » السياسية القائمة الآن .. ، وأن تكون كل من الجامعتين - الثقافية والسياسية - مستقلة تماما عن الأخرى ، ولا تتدخل إحداهما فى شئون الأخرى ، ولا تتبع اتجاهها ومواقفها .. ولا تتأثر بالخصومات السياسية بين الدول العربية ، لأن أهدافها مختلفة ، لأن الهدف السياسى وقتى أما الهدف الروحى والثقافى فهو الخالد مثل جذوره .

وليس من الضرورى أن يكون مركزها فى مصر ، أو أن تعمل مصر دائما على أن تكون لها الزعامة . بل أن تعمل على أن تكون مجرد شقيقة كبرى ، وشريكة مفيدة مع بقية الأشقاء .. ويكون مقر هذه الجامعة حسب الاختصاص ، أو بالطرق الديموقراطية حسب الانتخاب ، أو بتقسيم الاختصاصات وتوزيعها بالعدل بين الأشقاء على أساس الجهود ..

٤ - ما هو مستقبل المرأة فى العالم وخاصة فى مصر ؟

مستقبل المرأة فى العالم كما ظهر ، وربما فى أمريكا أخيرا ، بوادر تدل على أن المرأة بدأت تضيق بالعمل ، وأن الحنين إلى البيت بدأت تشعر به . وربما أخذت تعيد التفكير فى حلمها وشعاراتها التى نادت بها فى القرون الماضية من وجوب مساواة المرأة بالرجل فى كل شيء .. ولكنها بعد أن وصلت أخيرا إلى هذا الغرض ، ووجدت المرأة تجلس مع الرجل فى العمل الواحد ، وأحيانا تنافسه وتتفوق عليه ، ثم وجدت المرأة أنها أصبحت مساوية للرجل فى المناصب الكبرى ، فهى رئيسة وزراء ، وعضو برلمان وزعيمة حزب .. إلخ . ثم اكتشفت أنها فقدت قيمتها الأولى ، وهى أن تدع الرجل هو الذى يعمل ويتعب ، ثم يصب كل أمواله وأرباحه من عمله فى جيبها هى .. ، وأن الأفضل لها أن تعود إلى وظيفتها الأولى وهى الجلوس على عرش بيتها ، وتفتح يدها ليضع الرجل فلوسه فيها ويقبلها . ولهذا أتوقع أن تختفى فى القرن القادم فكرة المساواة بالرجل ، وتحل محلها فكرة الرجل : « المساواة بالمرأة » ، وسوف ترفض المرأة أن تعمل هى وتربح ، وتعطى الرجل ربحها ، وسوف يكون القرن الحادى عشر(★) هو قرن « عودة المرأة إلى عرشها » ..

(★) يقصد القرن الحادى والعشرين .

أما فى مصر فالحال ظهرت بوادره منذ الآن . فالمرأة تتخرج فى الجامعات مع الشاب ، وتجلس إلى مكاتب العمل بقرارات القوى العاملة ، أو فى الشركات ، وتقبض ، والشاب يفضلها زوجة عاملة ، ليحسب حساب ماهيتها كأنه إيراد ثابت . وأحيانا يوجد أزواج من نوع سيىء ، يناقشون الزوجات فى الرقم الصحيح لما يربحن من ماهيات ومكافآت وحوافز ، كما لو كان هذا حقه الطبيعى الخاص ، إلى حد أن أخذت بعض الزوجات العاملات فى الترحم على أيام جلوسهن فى البيت بدون مضايقات العمل ، والمواصلات والواجبات الضرورية من رعاية أطفال ، وطهو طعام لهم ، وللزوج المحترم الذى يقبض مرتبه ، ولا يطلع الزوجة على رقمه الحقيقى ، فى حين يطالبها هى برقم أرباحها بالضبط ، أرباحها من عملها بالتمام والكمال ، غير انتقادها لإهمال الزوجة فى العناية به ، وبأطفالها . فإذا أرادت التخفيف من واجباتها باستئجار « شغالة » فإن الشغالة اليوم تكاد تطلب كل مرتبها ، وتطالب بأيام راحة ، وساعات لمشاهدة برامج التليفزيون ، ونحو ذلك .. فالزوجة اليوم فى حالة يرثى لها من الإرهاق .. والزوج يتشفى ، ويقول « ذوقى طعم المساواة بالرجل ، ومنافسته فى عمله » .. لقد نزلت المرأة عن عرشها كملكة بيت إلى مجرد زميلة للرجل فى شقاء العمل اليومى ، والجرى فى الشوارع المزدحمة لقبض جنيهات ، يشاركها فيها الرجل على الإنفاق على بيت الزوجية الملقى كله على كاهلها وحدها من طهو طعام ، ورعاية أطفال ، ونظافة بيت ... إلخ .

أتصور أنه فى القرن القادم - أى فى أعوام سنة ٢٠٠٠ - ستترك المرأة المصرية أسطورة المساواة بالرجل وتعود إلى منزلها ، لرعايته ورعاية أولادها . ولكن بالشروط الآتية - وأهمها : أن تعتبر الدولة

« المرأة ست البيت » وظيفة اجتماعية ، مهمتها الأساسية تربية أولادها ، وتكون مسئولة عن تعليمهم الأولى . وأنها إذا كانت ستدخل الجامعات أو الدراسات الأخرى فذلك ليس بغرض الجلوس فى مكاتب عمل خارجى . بل بغرض استخدام هذا التعليم فى تنشئة أولادها .. وإذا كان البستانى الذى يرعى البذور النباتية يتقاضى أجرا على عمله . فهى تقوم بعمل البستانى الذى يرعى « البذور البشرية » ، وهم الأطفال الذين سيصبحون دعائم المجتمع فى المستقبل . فإذن المرأة والأم تقوم بوظيفة اجتماعية ، مثل بل أهم من الموظف العام ، ويجب أن تتقاضى ما يتقاضى من أجر ، ومكافآت وتأمينات ونحو ذلك . فالمستقبل فى مصر للمرأة الموظفة فى بيتها لرعاية زهور المستقبل : أى أطفالها بالمرتب ، كأى موظف ، بل أفضل ، لأنها تنشىء أجيال المستقبل .

٥ - الطفولـــة

الطفل بذرة تنمو لتصبح شجرة . والأطفال بذور ستصبح فى المستقبل أشجارا مثمرة . وكما أن البذور النباتية لها وزارة تعنى بها وتصنفها ، وتؤهلها للإثمار الجيد والإنتاج الوفير ، كذلك البذور البشرية لها فى البلاد المتقدمة من يرعاها ، ويصنفها ، ويختار منها أجودها . وقد علمت أن فى روسيا نظام تعليم فى هذا الاتجاه ، وهو تصنيف الأطفال حسب مواهبهم ، وتوجيه كل طفل إلى التعليم الذى يوصله إلى هذه الغاية . وبذلك تلغى مهزلة المجاميع ورعبها ، وسوق الدروس الخصوصية . ويدخل الطفل المدارس والكليات التى تتفق مع طبيعته ، وتظهر فى تفوقه فى نتائج المادة التى يدرسها فى كل مرحلة ، وبهذا يتهيأ لكل موهبة المناخ المناسب لإنتاجها الممتاز ليقوى بها مجتمعنا .. ونحن أحوج البلاد إلى دراسة هذه المسألة ، وإيجاد هذه الجهة التى تخصص فى العناية بما أسميه « البذور البشرية » . وقد يقال إن المسئول الأول عن نمو البذور هى الأرض التى تنبت فيها : أى « الأسرة » ، فإذا كانت الأرض فى البذرة النباتية صالحة فإن البذرة البشرية فى الأسرة الصالحة كذلك . أما إذا كانت البذرة فى مستنقع فإنها تفسد . إذن لابد أن تكون هناك جهة تراقب هذه الأرض البشرية ، أى الأسرة ، وتدرس الوسائل لإصلاحها .. قد يقال : إن المختص هى وزارة « الشئون الاجتماعية » . فهل يوجد فى هذه الوزارة مصلحة خاصة

لشئون الأسرة ؟ أو معمل اختبار للبذرة .. بذرة الطفل لقياس وتصنيف موهبته ، وطبيعته ، وقدراته ، وإخبار أسرته بذلك ، حتى تدفعه إلى طريقه المثمر ، بدل الحيرة والبلبلة . كما أنه يوجد ، أو لابد أن يوجد ، فى وزارة الزراعة إدارة لشئون « الأرض » تدرس « الأرض البور » أو الصحراوية ، وتقلبها إلى أرض خصبة منتجة ؟ .... وقد يقال : إن خير الوسائل وأسرعها هو ذلك الاختراع العجيب الذى جاء به العصر الحديث وهو « التليفزيون » أى : الجامعة أو المدرسة المرئية والسمعية التى تدخل كل بيت ، وتعيش مع كل أسرة ، وتؤثر ، وتشكل شخصية كل طفل فيها من أطفال الأسرة . يجلسون الساعات ، يحملقون بكل اهتمام إلى العالم الذى يعرض أمامهم على الشاشة الصغيرة ؟! .. وهنا اسمحوا لى أن أسكت حتى لا أنفجر ساخطا يائسا ؟! .. من الذين يختارون هذا الذى نسميه الجامعة المقتحمة لكل أسرة ؛ لتشكل شخصية الطفل ، وتهيىء البلد كلها ، والشعب كله لحياة المستقبل ؟

من هو الطباخ الذى يعد قائمة الطعام المحتوى على عناصر التكوين الصحيح لشخصية الطفل والمجتمع ليواجه المستقبل ؟ لا أحد يفكر فى ذلك . لا بالنسبة لوسائل الإعلام المرئية والسمعية ولا حتى فى برامج الأحزاب ولا الجامعات لا أحد يفكر فى ذلك .. الجميع يتناولون الطعام الهزيل الذى يقدم إليهم .. لا سؤال ولا تفكير ، ولكن التلقى السلبى فقط ، والكل يعيش فى مطالب اللحظة التى هو فيها . الدولة ، والأسرة ، والجامعات ، والكبار ، والأطفال كلهم لهم مطالب عاجلة هى وحدها الشغل الشاغل .. الدولة تهتم فقط بما يطلبه الناس الآن : وهو الغذاء ، والكساء ، والسكن ، والمال بلا إنتاج . وأهل

السياسة يريدون الكراسى . لماذا ؟ هل عندكم برامج مفصلة واضحة لتحقيقها إذا جلستم على الكراسي ؟ .. المهم الكرسى ! .

إلى جانب ذلك نريد شعارا آخر هو : « ما يطلبه التقدم » ، وتعمل له ، وتعلنه ، وتخطط له الدولة ، والأحزاب والجامعات ، ووسائل الإعلام . والمستقبل الحقيقى معناه التقدم .

— وما هو التقدم ؟

— التقدم هرم له أربعة أضلاع :

١ - الإخلاص فى الدين (التقـــوى) .

٢ - الإتقان فى العمل (الإنتـــاج) .

٣ - الاتساع فى العقل (العلـــــم) .

٤ - الارتفاع فى الذوق (الفـــــن) .

وكل ضلع من هذه الأضلاع الأربعة يحتاج إلى دراسات تفصيلية ، وتوجيه إلى وسائل التنفيذ فى كل جهات الاختصاص لكل مرحلة ونوع . ومنها : الأسرة ، والمدارس ، والجامعات ، والأحزاب ، في برامجها ، والدولة في تنفيذها وإشرافها . وفى اختصار : المجتمع كله يجب أن يعرف عناصر التقدم الأربعة على الأقل .

والدولة مسئولة عن شىء مهم جدا وهو : تدريب الإنسان منذ الطفولة حتى الكهولة على استعمال ثلاثة أعضاء فقط من مداركه :

ـــ اليد والعين والأذن ؛ فاليد : ليمدها طلبا للنقود . حتى الطفل فى الرابعة أو الخامسة يطلب المصروف من أهله . وارتفع السعر حسب عملة العصر . ففى الماضى كان القرش . واليوم لا أقل من ربع الجنيه .. (كان هذا فى عام ٨٤ .. !) ، والعين : ليرى بها برامج التليفزيون والسينما .. ، والأذن ليسمع بها الأغنيات والنكات .. أما التفكير والعقل فلا يعمل كثيرا .. ؛ لأن إنتاج العقل هو أقل إنتاج فى الدولة يأتى بربح . وفى حين من رفع صوته بأغنية ظفر بما لا يظفر به من ربى جيلا من الشباب .. وعدم اهتمام الدولة بعضو يسمى « العقل » ، والاهتمام الأكثر بالعين ، قد أرجع الإنسان إلى العصر الوثنى .. فالبشرية فى العصور الأولى كانت وسيلتها الوحيدة فى المعرفة هى العين ، فكان الإنسان الأول يرسم على جدران كهفه الحيوانات التى يصطادها .. ثم مع تقدمه أنشأ لغة قوامها أيضا الرسوم والصور ؛ فاللغة الهيروغليفية - مثلا - هى صور ورسوم .. إلى أن ارتفع العقل فظهرت الحروف الأبجدية ؛ لتتجه إلى العقل مباشرة .. ولذلك من رأيى أن الإسلام عندما كره التصوير فى الدين كان السبب المهم هو أن هذا الدين المرتفع أراد أن تكون اللغة ، ممثلة فى العقل البشرى ، هى وحدها وسيلة فهم الخالق عز وجل ، وأن الإنسان يجب أن يتصور الخالق بعقله فقط ، وليس عن طريق صور مرئية مجسدة فى أوثان من الحجر أو صور على الجدران .. وهذا تمجيد للإنسان وتكريم للعقل . أما التليفزيون عندنا فهو عندى رجوع إلى الوثنية من حيث أن الصورة هى وسيلة الإدراك والفهم للطفل والشاب والرجل .. ولن يرتفع التليفزيون فى نظرى إلا إذا جعلنا العين وسيلة للمعرفة ، وليس مجرد لهو ومتعة وتسلية .. فمن الذى ينفذ ذلك ؟ إذا قلنا الدولة ،

فالسؤال هو : وهل للدولة نفسها برنامج مفصل واضح فى ذلك ، سواء بالنسبة لوسائل الإعلام المكتوبة ، أو المسموعة ، أو المرئية ؟ بل هل للجامعات والمدارس نفسها أبحاث واتجاهات وبرامج فى هذا السبيل ؟ . أفتونى أنتم .. ليطمئن قلبى على وضوح رؤية طريق التقدم فى المستقبل بإذن الله ..

وأقترح أن تعرض فى التليفزيون من البرامج جلسات المجالس القومية المتخصصة ، والدكتور حاتم له جهود فى هذا السبيل .. لقد بلغت ، وأرجو أن تعلن جهود الهيئات التى تدرس ما ينفع الناس ، إلى جانب برامج الرقص التى تسر العين فقط .

٦ - هل توجد فى مصر أزمة فكر ؟ وأزمة مثقفين ؟ وأزمة متعلمين ؟

من المبالغة والظلم أن تقول إنه لا يوجد فى مصر مفكرون ومثقفون ومتعلمون ؛ فالعقول موجودة ، لأن العقل عضو طبيعى فى الإنسان ، كما أن القدم والساعد والأذن كلها أعضاء طبيعية فى الإنسان ، وإذا تركت هذه الأعضاء تعمل بشكل طبيعى فإنها تكون متحركة ، وتؤدى وظيفتها ؛ فالساق عندنا تؤدى وظيفتها على أحسن وجه ، لأنها متروكة ، حرة الحركة فى كرة القدم ، وكرة السلة ، ونحو ذلك ، فأدت وظيفتها الطبيعية بلا أزمة ولا موانع .. وكذلك الأذن تسمع ما تريد من موسيقى وغناء ، وتميز ذلك بدون معوقات ، ولكن العقل - وهو العضو الذى يعمل به المفكر والمثقف والمتعلم - فهو الذى ظهرت أزمته إلى حد التساؤل : هل يوجد فكر ، أو أزمة فكر ؟ والمثقف والمتعلم هل لهما وجود بارز النتائج فى المجتمع ؟ وأين إذن العضو المكلف بذلك ، وهو المسمى « العقل » ؟

العقل فى الجبس !

هذا العضو المسمى « العقل » موجود فى جسم الوطن ، موجود والحمد لله . ولكن هذا العضو المهم موضوع فى « الجبس » فلا يتحرك

بحرية . وشأنه شأن القدم أو الساعد ، أو أى عضو آخر ، موضوع فى « الجبس » . وليس هذا فى مصر وحدها ، ولكنه فى أغلب بلاد الشرق الأدنى والأقصى ما عدا اليابان . والجبس هنا ما معناه ؟ ، وما صفته ، وما عناصره ؟ ومن الذى وضعه وصب فيه العقول ؟ . إنه موضوع متشعب التفاصيل ، مختلف الفصول .. ليس من السهل الخوض فيه بدون خبرة وتخصص فى كثير من النواحى .. ولذلك يحسن أن أترك فيه المجال مفتوحا بكل حرية لكل صاحب خبرة ، أو تخصص فى أى ناحية من النواحى العديدة ، أن يدلى برأيه الحر فى نوع وصنف مادة « الجبس » هذه ، الموضوع فيها العقل المصرى .. ولا بأس من عدم ذكر أى اتهام لمن وضع وصب هذا الجبس المحيط بعضو « العقل » عندنا . ولكى لا يكون كلامى هذا غامضا أو مبتورا ، فإنى أفصح قليلا بقولى إنى أذكر دائما كلمة للعالم الكبير ، وأحد أعمدة الاكتشافات النووية : نيلز بوهر إذ قال : « لا ينبغى لأحد أن يفهم من أى شىء أقوله على أنه تأكيد ، بل هو مجرد عرض مسألة » .. معنى هذا عندى أنه على علمه الواسع لا يريد أن يكون علمه ورأيه قيدا يمنع حركة البحث الحر عند الآخرين .. أى أنه لا يريد لعقول الآخرين أن تجمد فى جبس أفكاره وآرائه . وأسأل بدورى هنا لمجرد السؤال : هل يستطيع طالب علم عندنا أن يقول لأستاذه : « لن أكتفى بدروسك ومذكراتك ، بل سأجيب فى الامتحان بما اطلعت عليه أيضا فى كتب أخرى فى الموضوع ؟ » أو أن هذا الطالب سيعرض نفسه للسقوط فى الامتحان ، إذا لم يجب طبقا لمذكرات الأستاذ وحدها ؟ .. وهل يستطيع كاتب أن ينشر فى جريدة معارضة رأيا مؤيدا بقوة للحكومة . أو ينشر فى جرائد الحكومة رأيا مؤيدا جدا لرأى المعارضة ؟ مجرد سؤال .. هكذا

وهكذا .. إذن هو « الجبس » الذى توضع فيه العقول . ولقد سبق أن ذكرت أن أحاديث لى سبق أن طلبتها منى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة فحذفت ؛ لأن لجان الرقابة فيها مهمتها أن تشم بأنوف دقيقة ما يرضى الحكومة ، وتبالغ فى الشم بحاسة أصبحت شبه غريزية إلى حد تخاف حتى مما قد تبيحه الحكومة نفسها لو علمت به .. فالجبس هو الطريقة المضمونة فى طب « تجميد العقول » حتى لا تتحرك ، فتحدث أضرار من حركة هذا العضو الملعون ! . الذى يعتبر كعضو مكسور ، يحتاج علاجه دائما إلى تجبير ، بوضعه فى الجبس حتى لا يتحرك ، إلا بأمر الطبيب ! .. ومن هو الطبيب ؟

سؤال آخر صعب الإجابة عنه ! .

٧ - عودة الوعى

سؤال : عندما أشرت إلى الوعى الغائب هل كنت تقصد بذلك وعى الشعب ، أم وعى المفكرين ، وأنت واحد منهم أيضا ؟

ـــ عودة الوعى : وكلمة الوعى هنا المقصود بها الشعب كله من مفكرين ، وعاديين ، وأعضاء المجالس النيابية ، لأن القول بأن أحد النواب رقص فى ظرف كهذا ، ولم يستنكر الآخرون هذا المنظر الشائن ، أو أن المفكرين كانوا على وعى بهذا الذى حدث يدل على شىء واحد ضدهم ، ولا عذر لهم فيه ، وهو عدم الإحساس الوطنى ، أو العجز والمذلة لعدم تحركهم . فأخف وصف هو « الذهول وذهاب الوعى » .

والقول بأن الوعى خاص بى شخصيا فكيف كنت أعلم بكل ما يجرى فى الميادين المختلفة من سياسية واقتصادية واجتماعية إلا بما تنشره الصحف ، ووسائل الاعلام ، وبعض الإشاعات ؟ وكيف كنت أتنبأ بهزيمة مصر أمام إسرائيل ، ونحن فى جميع الخطب والمقالات نعلن بأننا أقوى عسكريا من أى دولة فى المنطقة . وأقرأ فى الشوارع إعلانات ضخمة تقول إننا سندخل تل أبيب بعد ساعات ؟؟ قولوا لى أنتم من أى مصدر أكيد للمعلومات كان من الممكن أن يطلعنى على سياسة الدولة ، واستعداداتها الحربية غير الملفات السرية التى لم تفتح ، وطالبت فى « عودة الوعى » بفتحها لنعرف ونحكم ، وقد تفيدنى عن

مدى مسئولية عبد الناصر الذى أحبه ، وأثق فى وطنيته ، وأعتقد أنه مسئول كحاكم فى نطاق نسبة عشرين فى المائة فقط . ولكن الذين يعتقدون ، خطأ أو بالاستنتاج ، أن علاقتى بعبد الناصر لابد كانت قوية ، وتجعلنى مطلعا على مجريات الأمور ، مع أنى لم أجلس معه ساعة واحدة . فأنا قريب منه بالقلب والعاطفة ، وليس بالاطلاع على دخائل أغراضه وسياساته .. إلا ما نعرفه كلنا من خطبه ومقالات صحفه .. ومن المنطقى أن تقول أنها سحرت الشعب ، وأنا معه .

سؤال : هل من السهل على أى نظام أن يفقد الشعب وعيه ؟

ـــ من السهل جدا على أى نظام تسيطر فيه الدولة على مصادر المعلومات ، وفى يدها وحدها مفاتيح الإعلام ، والاتصال بالجماهير أن تشكل هى وعى الجماهير ، طبقا للصورة التى تريدها .. ؛ لأن الوعى عند أى إنسان يتكون فى رأسه من الصور التى تعرض له فى مرئيات ، أو سمعيات ، أو مطالعات .. ولذلك نرى الآن على المستوى الدولى قيام الدول الصغيرة بالمطالبة بحرية المعلومات التى تسيطر عليها الدول الكبرى القوية بما لها من وسائل إعلام قوية ، هى التى تشكل الوعى السياسى الذى تريده سياسة هذه الدول الكبرى ، لتؤثر بها على الدول الصغرى .

سؤال : هل الشعب الآن عاد إلى وعيه ؟

ـــ وبدورى أسأل ما هو هذا الوعى الذى عاد ، أو لم يعد ؟

إنى كما قلت ، وأكرر قولى ، هو أن الوعى مرتبط بالصورة التى تعطى لنا .. وعلى أساس هذه الصورة يكون الوعى . والصورة لا تزال

هى الإيجابيات بالتفصيل ، ولا أقول بالتضخيم .. أما السلبيات فنمر عليها مر الكرام ، ولذلك لا نعرف تفصيلاتها . وعبد الناصر مازال هو عبد الناصر .. وأنا مازلت أحبه ولكنى لا أقدسه ، وغيرى يقدسه ولا يطيق المساس بطرف ثوبه .

وأذكر أنى قرأت عن كتاب يصور واشنطن ، محرر أمريكا ، فى صورة جميلة تقدمه ، فهاجمها النقاد وقالوا إنهم يريدون صورته الإنسانية بما فيها من محاسن وعيوب . كما أن وسائل الإعلام عندنا لا تجرؤ على تناول ثورة ١٩٥٢ بدراسة موضوعية ، نحبها من إنجازاتها الحقيقية ، ونعرف ملامحها المعيبة ، لنحاول تفاديها . ولا عيب فى ذلك ، لأن كل ثورة عظيمة كالثورة الفرنسية والثورة الروسية ، فيها أمجاد وفيها سقطات . ولكن كل صفحاتها : المشرق منها والمعتم قد تناولها مفكرون ومؤرخون بالبحث والدراسة ، بمنتهى الصراحة والموضوعية .. ولم نصل نحن حتى الآن إلى ذلك .. بل بالعكس ازداد الانقسام الذى يمنع الوعى السليم . فعندنا ناصريون يؤمنون بالقداسة ، ومعارضون يريدون الرفض والتشويه . ويمينيون يحلمون بالماضى ، ويساريون يريدون المستقبل التقدمى بمعنى يرفضه آخرون .. والمثقفون صنفوا كلهم ، ووضعوا فى خانات ثابتة : هذا يمينى ، وهذا يسارى . كما فى الرياضة أيضا : هذا أهلاوى ، وهذا زملكاوى .. وعلى هذا الأساس يصح أن نسأل : أى وعى تريد ؟ لأن الوعى هنا أصبح متعدد الصور ، طبقا لصنف الشخص ، والخانة الموضوع فيها . وأنا نفسى حتى الآن لا أعرف بالضبط الحقيقة كلها عن ثورة ١٩٥٢ . كل ما أعرفه هو أنها حلقة ضرورية بخيرها وشرها من حلقات التاريخ المصرى . وعلى ذكر حلقات المسلسلات فإنها فى تناولها لتاريخ الأعلام

فى التليفزيون يعرضون أخطاء وتشويهات فيها خطر على معلومات شبابنا . ولو فطن المسئولون لاستعانوا بالخبراء كمستشارين للنواحى التاريخية ، كما يحدث فى البلاد التى تحترم تاريخها ، وليس فقط برقباء لمنع ما يظنون أنه يغضب الدولة .. وقد منعوا بالفعل أحاديث لى أنا طلبوها وصوروها وامتنعوا عن عرضها دون إخبارى بالأسباب . ولعله أسلوب خاص بنا : الرفض والصمت .

سؤال : قيل إنك حققت أكبر دخل مادى من الكتاب . ما هو العائد المادى الذى حصلت عليه من هذا الكتاب ؟

ـــ الدخل الذى حققته من كتاب « عودة الوعى » كان من المعقول أن يكون ضخما .. ولكن مع الأسف . كان موقفى عند طلب النشر فى كتاب من أى ناشر هو الرفض . وكنت أصيح فى مكتبى بالأهرام المفتوح بابه دائما بأن أذكر للناشر رقما بالآلاف ليهرب . وكان يسمع ذلك الكثيرون ممن فى مكتبى . وانتقلت الآلاف التى صحت بها ، لكى أطفش الناشرين إلى حقيقة شاعت عنى . ولكنى علمت من ناشر معروف قال لى فى صراحة : إن نشر الكتاب لم يعد يهم ، لأنه نشر فى الصحف العربية من الخليج إلى المحيط نقلا عن النسخة التى تسربت من الآلة الكاتبة ، وقرأه كل الناس ، وانتهى الأمر . ووضع أمامى مبلغ ألفى جنيه ، وانصرف قائلا : إنه ينشره وأمره لله سواء قبلت أو رفضت .. وسوف ينشر الكتاب فى الدول العربية بدون رأيك ، وبغير أجر ، ولك أن تفعل ما تشاء .. وهذا كل ما نلته من نقود ولك أن تصدق ، أو لا تصدق . وقد نلت من الشتم والسب والتشنيع بسبب هذا الكتاب ما لا يقدر بمال ..

سؤال : لقد طالبت بفتح الملفات ؟ هل تحقق من « عودة الوعى » الهدف وهل أمكنك معرفة الهزيمة التى تحققت ؟

ــ نعم طالبت فى هذا الكتاب بفتح الملفات ؛ ليطمئن قلبى ، ويظهر للتاريخ أن عبد الناصر لم يكن مسئولا عن الأخطاء إلا فى حدود نسبة صغيرة . ولكن التاريخ يحمّل الزعماء كل المسئوليات الكبرى ظلما أحيانا . فنابليون مسئول عن هزيمته فى واترلو ، ونفى بسببها إلى أن مات ملعونا . مع أن السبب فى الهزيمة كان أحد قواده الذى تأخر عن دخول المعركة ، كما خطط نابليون ، مع أنه كان منتظرا فى أول المعركة ، وكان عدوه القائد الإنجليزى يصيح قائلا : « إن نابليون بدأ يخرطنا كما يخرط البطاطس ! .. »

أما عن « عودة الوعى » ، وتحقيق فتح الملفات فإنها بالفعل أدت إلى نشر الكثير من المذكرات للمشتركين فى الأحداث التى مرت . ولكن أكثرها كان هجوما على شخص عبد الناصر إلى حد التشكيك فى وطنيته ، فهالنى ذلك ، لأنى لم أقصد فتح الملفات لكيل الاتهامات . ولذلك بادرت بنشر مقال لى فى « الأهرام » عنوانه « أغلقوا الملفات » . وهكذا فهم هذا الكتاب فهما خاطئا سواء بالإشاعة ممن لم يقرءوه قراءة جادة ، أو ممن اتخذه للنيل الشخصى من شخص عبد الناصر .. ولذلك لم يحن الحين بعد للدراسات الموضوعية لتاريخنا وأعلامنا .. ولذلك أشك فى إمكان نشرنا موسوعة موضوعية تماما ، أو فى صناعة « كمبيوتر » مصرى ، لأننا سوف نملؤه بالمعلومات التى تريدها السلطات .. لعدم وجود الهيئات المستقلة ، ولا المفكرين غير المنحازين لأى مؤثرات .. فلنصبر إذن وربنا يصلح أحوالنا ..

هل أنا نادم على كتاب « عودة الوعى » ؟ سؤال من الطبيعى أن يسأله سائل .. والجواب عندى قاطع .. وهو : لا أبدا .. ولو لم أكتبه لكان لابد أن أكتبه . ولو كان عبد الناصر على قيد الحياة لكنت طلبت أن يطلع عليه . وأعتقد أنه كان يوافق على نشره . وإذا طلبت منه كتابة مقدمة له لفعل . فهو شخصية عظيمة فعلا مفتوح القلب والعقل . وعندما كتبت « السلطان الحائر » عن حاكم حائر بين السيف والقانون . وذلك عندما قال أحد المسئولين عندنا إن « القانون » فى إجازة ، وكانت قضية خطيرة ، يجب لأى كاتب حر أن يلفت إليها نظر الحاكم .. ولكنى رفضت أن تخرج هذه المسرحية على المسرح قبل أن يطلع عليها المسئولون ، لأنى لا أقصد بها ، ولا بغيرها ، مضايقة الحاكم أو الهجوم عليه ، وخاصة عبد الناصر . وكذلك فعلت فى كتابى « بنك القلق » الذى وصفت فيه نظام حكمنا بأنه « اشترأسمالية » ، وقرأه عبد الناصر ، ولم يمانع فى نشره على الرغم من أن بعض معاونيه غضبوا لنشره .. إذن لو كنت أردت كتابة « عودة الوعى » فى حياة عبد الناصر لما أخفيت ذلك عليه .. لأنه يدرك أنى أؤدى واجبى ككاتب حر فى إطار حبى الشخصى له . وهو متأكد منه ، ومن تحمسى للثورة المباركة التى تنبأت بها ، ونشرت هذه العبارة بالنص « الثورة المباركة » فى كتاب لى منشور قبل الثورة بسنوات .. والذى اتهمنى بالهجوم على عبد الناصر بهذا الكتاب لم يقرأ الكتاب قراءة متعمقة .. ومع ذلك فقد أعدت قراءة الكتاب مرات ومرات ، لمراجعة ما قيل إنه هجوم على عبد الناصر ؛ فلم أجد كلمة واحدة تمس شخص عبد الناصر ، أو سمعته ، أو أخلاقه الشخصية .. إنما هو نقد موضوعى للنظام فقط ، وليس لشخص الزعيم . النظام الذى استقبلته بالحماسة . والذى تحول شيئا فشيئا إلى

نظام بوليسى ، وأدى إلى هزيمة منكرة من عدو صغير ، ثم لم يجرؤ نائب واحد فى مجلس الشعب أن ينهض ليقول : إنه مع حبنا ، وإجلالنا العميق لزعيمنا فإننا فى إطار حبنا له ، وإخلاصنا له وللثورة فإننا نريد أن يوضح لنا أمرا واحدا هو : « كيف وقعت الهزيمة ؟ » .

ولكن الذى حدث فى مجلس الشعب عندنا بعد الهزيمة هو الرقص ! .. نعم نائب يرقص ! إذن كنا ، وكان نوابنا فى حالة وعى غائب ، أو فى نظام جعل الناس يعتادون الهتاف والتصفيق ، وغاب عنهم الوعى بضرورة السؤال والمناقشة . أما السلبيات فى الكتاب فكانت فى صورة أسئلة مثل : ما الذى فشل فى الإصلاح الزراعى ، والصناعة ، والتعليم ؟ ونحو ذلك . ثم عبارة أرددها كثيرا فى كتاب « عودة الروح » وهى أنى أرجو أن تكون مسئولية عبد الناصر فى الفشل والهزيمة لا تتعدى عشرين فى المائة فقط ، لأنى أحبه شخصيا ، وأثق فيه ، وأؤمن بوطنيته ، ولكننا اعتدنا عدم التفريق بين النقد والهجوم ..

وعدم الفصل بين التقدير والتقديس ، فتقديس عبد الناصر ألصق تهمة الهجوم ضد كل من يناقش ، أو ينقد أى عمل لعبد الناصر . وأنا فى كتابى « سجن العمر » انتقدت والدى ووالدتى مع حبى لهما ، وقلت : إن والدى ، وهو قاض فاضل ، عندما اشترى لوالدتى بعض الأطيان بمالها هى من بيع جهازها ، وكان ثمن الفدان وقتذاك ثلاثين جنيها ، سجل الأطيان نصفها باسمه – مع أنه لم يدفع مليما . وهاجت والدتى ، وكانت عصبية المزاج ، ولم تهدأ إلا بعد أن أسرع وصحح الوضع . وهكذا لا أستطيع السكوت على خطأ لأى شخص عندى .

٨ - كامب ديفيد

ـــ لقد عرفنا موقفك من كتابة « عودة الوعى » ، ***فما هو موقفك من كامب ديفيد ؟***

ـــ الواقع أنى أقف كثيرا هذه المواقف التى ترغمنى على الدفاع عنها . وبعد التروى يتضح لى الخطأ الكبير الذى جعلنى أدافع عن قضية أو موقف لم يكن له وجود عندى أصلا .. فمثلا : لماذا أدافع عن موقفى فى « عودة الوعى » ، وأقول إنها كتبت لا بغرض النشر ، ولكن بمناسبة ظرف معين هو مرور عشرين سنة على الثورة .. والسؤال الخطير العام وهو : لماذا انتظرت حتى مات عبد الناصر ثم كتبت هذا الكتاب ؟ . هذه الأسئلة على هذه الصورة تقرر واقعة معينة وهى : أن هذا الكتاب هجوم على عبد الناصر . وفى هذه الحالة كنت أجد أى دفاع لا يقنع ولا يجدى . لأن الجريمة هنا واضحة وسافلة ، وهى الهجوم على رجل مات ، والناس تعرف مقدار حبه لى وحبى له .. إذن هى سفالة مؤكدة ، أو غرض آخر لا يقل سفالة ، ولكن الحقيقة كل الحقيقة - وأنا الآن على ضفاف الموت ولم يعد يهمنى شىء ، لا اتهام ولا دفاع - الحقيقة هى أنى لم أكتب مطلقا لأهاجم شخص هذا الصديق العزيز عندى . لم يخطر فى بالى لحظة أنى أكتب هجوما ضده .. ولو خطر لى ذلك لحظة ما كتبت ولمزقت الصفحات . ولكن الذى أردته هو فعلا النقد لنظام الثورة ، كما تحول فى مراحله الأخيرة التى أدت إلى الهزيمة

المنكرة .. وفرق بين نقد نظام ، والهجوم على شخص مؤسسه . ولكن الإشاعة لا تفحص ، ولا تفكر .. والذى فهم قصدى ، وقرأ الكتاب بإمعان ، حتى من الناصريين المخلصين ، استبعد أى نقطة مساس بشخص عبد الناصر .. مع العلم بأنى كنت أول من اقترح إقامة تمثال له بعد وفاته ، ودمعت عيناى لجنازته .. وحتى الآن لا أعرف مصير الخمسين جنيها التى دفعتها فعلا للأهرام لحساب إقامة تمثاله .. وعلى فكرة أين الآن هذا المبلغ وأمثاله ؟ .. ولماذا لم يكتب الكتاب فى ذلك الوقت ؟ وإن كان الجواب قد سبق بيانه فى أنه كتب فى ٢٣ يوليه ١٩٧٢ أى بمناسبة مرور عشرين عاما تماما على قيام ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .

أما موقفى من « كامب ديفيد » فهو مشابه إلى حد ما :

فموقف السادات فى « كامب ديفيد » فُهِمَ على أنه خيانة للعرب .. ولو أنى فهمت ذلك حقا لكان موقفى هو الهجوم على السادات . وأول اتصالى بالسادات كان الهجوم عليه يوم كتبت بخطى « العريضة » التى وقعها معى أدباء وكتاب مصر ، ونشرت فى البلاد العربية على أنها هجوم أدباء مصر على السادات . وغضب منا السادات غضبا شديدا ، أعلنه فى اجتماع كبير ، قال فيه : « هذا الزفت والهباب الذى كتبه توفيق الحكيم الذى كنا نقدره » كل الذى فهمته من كامب ديفيد هو محاولة استرجاع هذا الجزء الكبير من أرض مصر المحتلة إلى أصلها .. وأن الأشقاء العرب يسرهم ، أو يجب أن تسرهم ، عودة أرض عربية محتلة إلى أصحابها . وأن الخيانة كما فهمتها هى خيانة أمريكا للاتحاد السوفيتى . فقد كان الاتفاق بينهما أن يشتركا معا فى حل مشكلة الشرق الأوسط ، ولكن أمريكا سحبت البساط من تحت قدم الاتحاد السوفيتى ، وأخذت فى حل القضية ، أو جزء كبير منها بمفردها لاستبعاد الاتحاد

السوفيتى عن الشرق الأوسط .. ولم يظهر الاتحاد السوفيتي علنا غضبه من هذه الخيانة المهينة له ، ولكن ببراعته السياسية استطاع أن يحولها للعرب ، ويصور الخيانة على أنها خيانة من السادات للعرب . واقتنع العرب بذلك .. وكان من أخطاء السادات بعد ذلك أن ترك هذا الاقتناع ينمو ، وعجز عن معالجته ، وإقناع العرب أن استرجاع سينا العزيزة ليس معناه التخلى عن دوره فى مساعدة أشقائه العرب . بل بالعكس سيمكنه السلام مع إسرائيل من الوصول إلى انتزاع حقوق العرب من براثنها . ولكنه عجز عن إقناع أمريكا بمساندته جديا فى معاونة أشقائه .. كما أنه لم يحاول إقناع الاتحاد السوفيتى بموقفه ، وعدم تراجعه فى إرجاعه سينا لمصر عن طريق كامب ديفيد ، أو غيرها . ولكنى أخالفه فى انفعاله ضد السوفيت والأشقاء العرب . وأدى كل ذلك إلى إجراءاته المنفعلة غير الواعية ضد هذا الحشد الكبير من المصريين ، وزجهم فى السجون بالجملة .. وكانت النتيجة بالنسبة إليه كما حدث له ..

الفصل السادس

رحلة مع الحكيم الإنسان

لو عشت الحياة من جديد لاهتممت بالرياضة ، والطاولة ، والشطرنج - السعادة عندما تأتى لا تقول أنا جئت ، وإنما الغم هو الذى يفعل ذلك - الفلسفة هى لماذا ؟ والعلم هو كيف ؟ - مهمتى ككاتب أن أوقظ فى القارىء رأيه - أنا والحب قطاران فى اتجاهين مختلفين - دبلة الزواج التى لبستها زوجتى كتبت عليها اسم محسن لأنها عشقت هذا الاسم فى « عودة الروح » - أنا من أتباع عدم الانحياز إلى دولتى البخل والكرم - لست طيبا ، ولكن أقسم أنى لم أضر أحدا - أنا نحلة تنتج إفرازات من زهور مختلفة - أول من أريد لقاءه فى الآخرة ابنى

إسماعيل - حكايتى مع العصا والبيريه والحمار - ما يشغلنى اليوم هو الضرائب - المرأة مخلوق فى يمناه السعادة ، وفى يسراه الشقاء - الحياة يقظة بين نومين ، والموت هو النوم الأخير .

على مدى سبعة أسابيع متتالية بدأت يوم الأحد ٨ يوليو ٨٤ حتى الأحد ١٩ أغسطس توالى نشر سلسلة الأحاديث التى أجريتها مع توفيق الحكيم فى جريدة « الأهرام » والتى أعطيتها عنوانا ثابتا : « ثرثرة مع الحكيم على فراش المرض » .

كنت على امتداد ست حلقات قد غصت فى أعماق توفيق الحكيم المفكر الفيلسوف الأديب الفنان العبقرى وسألته فى عديد القضايا اعتبارا من الموت إلى الحياة ..

ثم فى الحلقة السابعة والأخيرة قررت أن أستخرج من الجلسات الطويلة التى أمضيتها معه رحلة إلى توفيق الحكيم الإنسان .. وأنقل من « الأهرام » عدد ١٩ أغسطس ١٩٨٤ نص هذه الحلقة ..

اسمه : حسين توفيق إسماعيل الحكيم ، ولكنه اشتهر باسم توفيق الحكيم .

سنه : من مواليد ٨ أكتوبر عام ١٨٩٨ حسب الشائع عنه ، وفى أكتوبر من العام الماضى (١٩٨٣) احتفلنا معه بعيد ميلاده الـ ٨٥ ، ولكنه منذ أيام ذكر لى أن سنة ميلاده الحقيقية هى ١٨٩٩ وليست ٩٨ !

ماضيه : كان مفروضا فى إطار الجو التقليدى الذى تربى فيه أن يسير على نفس طريق والده الذى عمل فى القضاء ، والذى أدخله مدرسة الحقوق ، وأرسله إلى باريس ليدرس الدكتوراه فى القانون ، ولكنه فى باريس نسى القانون والدكتوراه التى سافر من أجلها ، وانجذب إلى الأدب والفن والمسرح .

تراثه : أكثر من ١٠٠ مسرحية و ٦٢ كتابا أولها « عودة الروح » عام ١٩٣٣ وآخرها « مصر بين عهدين » عام ١٩٨٣ .

حياته الاجتماعية : تزوج فى سن متأخرة فى الخامسة والأربعين وأنجب إسماعيل وزينب ، وفى عام ٧٧ رحلت زوجته ، وبعدها بعام فى أكتوبر ٧٨ فى قمة الشباب مات ابنه إسماعيل فى سن الثلاثين .

... وكل هذه السطور كان من الواجب أن أضعها كمقدمة فى بداية الحلقة الأولى من حلقات هذه الثرثرة الطويلة معه على فراش المرض ، ولكننى آثرت أن تكون مقدمة الحلقة الأخيرة .. ؛ ذلك لأن الذين يعرفون توفيق الحكيم لا تضيف إليهم هذه السطور شيئا إذا كنت قد بدأت بها ، أما الذين لا يعرفون توفيق الحكيم فقد كان من المهم أن يعرفوا فكره أولا ، وهو ما حاولته فى الحلقات السابقة ، قبل أن يعرفوا شخصه ... الفكر أولا ، ثم الشخص ..

وهكذا بعد ساعات طويلة من محاولة التسلل إلى عقل توفيق الحكيم وأفكاره بدأت أصحبه فى نزهة خاصة ، أطوف بها بسرعة حول شخصه ..

□ □ □

● قلت له : لو كتب لك أن تعيش حياتك من جديد ما الذى كنت تعمله غير ما حققته ؟

قال : كنت أهتم بأشياء لم أهتم بها مثل هواية ألعاب رياضية ، أو بعض الألعاب المسلية . مثل : الطاولة ، أو الشطرنج . فأنا عشت حياتى بدون هواية ، وبدون ألعاب رياضية ، أو متعة .. طبعا أنا لا أتكلم عن متعة الشرب أو الدخان . ولكن من الضرورى أن يكون لدى الإنسان هواية غير المتع الفكرية تسليه . ولأننى مفلس تماما فى هذه الناحية تجد أننى أعيش الآن حياة كئيبة .

● ما هو أجمل شيء في حياتك ؟

قال : لا شيء .. لأن الحاجات الحلوة تأتى وتذهب بسرعة مثل السعادة .

● ما هي السعادة ؟

- السعادة إحساس بالرضا التام ، وهذا الرضا التام لم يكن موجودا في حياتي .

● قصدك أنك لم تشعر في حياتك أبدا بالسعادة ؟

- مشكلة السعادة أنها عندما تأتى لا تشعر بها إلا بعد أن تذهب ، يعنى لو السعادة كانت تقول لك أنا اهو .. أبدا .. السعادة تحضر من غير أن تشعر بها على عكس الغم .. !

● قلت : لماذا يبدو التشاؤم عندك أكثر من التفاؤل ؟

- تقدر تقول نوع من الطبع .. وهذا جعلني حريصا ؛ لأن المتشائم يتمسك بحكمة القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ، أما المتفائل فتجده يقول : اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب .

● أيهما أحسن ؟

- أعتقد أن التفاؤل أحسن .

• هل الإنسان يحدد فلسفته ، أم الفلسفة هى التى تحدد الإنسان ؟

- الإنسان يحدد فلسفته .. لكن الفلسفة لا تأتى بسهولة ، وإنما الفلسفة تأتى نتيجة فيلسوف يفكر فى كل خطوة يواجهها ، ويسأل لماذا .. ؛ لأن الفلسفة هى : لماذا ؟ والعلم هو : كيف ؟ العلم يسأل كيف تمشى الكواكب ، وكيف جاء هذا المرض ، ولكن الفلسفة تسأل : لماذا الحياة ، ولماذا أموت ؟

• من هو أعظم المخترعين العلميين فى رأيك ؟

- كل اختراع مفيد ، إنما يمكن أحسنهم ذلك الذى أنقذ الإنسانية من آلام كثيرة . يمكن الذى اخترع ، أو اكتشف الأسبرين . أحسنهم لأنه بقرش صاغ استطاع أن يخفف ، أو يداوى أمراضا وآلاما عنيفة .

• ما هى فلسفتك ككاتب ؟

- أنا مهمتى ، أو فلسفتى ككاتب ، ليست أبدا أن أجعل من يقرأ لى يتبع رأيى ، ولكن أن أوقظ فيه رأيه ، وكيف يكون رأيه هو ، فإذا قال رأيه بعد ذلك حتى وإن كان مختلفا عن رأيى فإننى أعتبر ذلك نجاحا كبيرا ، أما إذا وافق على رأيى بعد ذلك فسيكون ذلك بمحض تفكيره ، وباختياره .

• ما هو الحب الحقيقى فى نظرك ؟

- الحب عندى مسألة غير واضحة .

● **تقصد لم تعرف الحب ؟**

– حب طيارى .. دائما من طرف واحد .. إما أن أحب طرفا آخر لا يحبنى ، أو يحبنى طرف آخر لا أحبه .. كما لو أننا قطاران يسيران فى اتجاهين مختلفين .. يعنى الحب عندى لم يحدث أن التقى فيه القطاران !

● **ألم يكن زواجك عن حب ؟**

– أنا تزوجت فى سن متأخرة فى الخامسة والأربعين ، وشاهدتها لأول مرة مع صديق عرفت منه أنها أخته . وتبين لى أنها كانت تحب الشعر وقراءة الأدب ، وأعجبت بشخصية محسن التى كتبتها فى « عودة الروح » لدرجة أن دبلة الخطوبة التى اشترتها – لأننى لم ألبس فى حياتي دبلة – كتبت عليها اسم محسن ولم تكتب عليها اسمى ، وكان يمكن أن أتبرأ من هذا الزواج ..

● **كيف أو لماذا – كما يقول الفلاسفة – اخترت اسم محسن ؟**

– ماأعرفش .. لكن الذى أذكره اننى اخترت الاسم الأول دون أى سبب واضح أذكره ، اما لقب عطيفى الذى اخترته له فى « عودة الروح » فقد أمسكت بدفتر التليفون ، وأخذت أقلب فيه ، حتى عثرت على هذا اللقب ، ثم ظهر لى فيما بعد صديق اسمه العطيفى هو المرحوم جمال العطيفى .

● **هل أنت محسن فعلا ؟**

– اسما يعنى ؟

● **لأ .. وصفا ..**

- لأ .. الكرم ده لا أظن أنه من صفاتى .. لكن أنا لا أعتبر نفسى بخيلا ، أو كريما .. أنا رجل محايد من أتباع عدم الانحياز إلى دولتى البخل أو الكرم .

- **ولكن المشهور عنك أنك بخيل ؟**

- إذا كان كده يبقى من قلة ..

● **والمشهور عنك أنك ابتكرت حكاية البخل ، وعداوتك للمرأة ، وصداقتك للعصا ، والحمار والبيريه ، للترويج لنفسك ، والدعاية لشخصك ؟**

- برنارد شو كان يقال عنه إنه يلبس أحيانا ملابس ملونة لافتة للنظر ويذهب بها فى المجتمعات الممتلئة بالجماهير - مثل : سباق الخيل ، ولكن الذى أستطيع أن أعترف به ، وأنا قرب ساعة رحيلى من الدنيا ، وهذه حقيقة لم أهتم بقولها هى أنى أفقر خيالا وذكاء وابتكارا من برنارد شو ، وان كل هذه الوسائل التى اعتبرت دعايات من ابتكارى كانت لها ظروفها الحقيقية فى الواقع ، ولم يكن لى يد فيها ، أو التفكير فى استخدامها ، إلا بعد أن شاعت ، فأستمر فيها ، ولا أحاول تكذيبها ؛ لأنى أعتقد أن التكذيب يثبت ولا ينفى ، وأن من يقال عنه إنه مجنون ويقول إنه عاقل فإنه يثبت جنونه .

ولذلك كل إشاعة عنى أستمر فيها وأؤكدها ، ولا أحاول نفيها ، إلا ما كان فيه ضرر للغير .

● تقصد أنك رجل طيب ؟

– أنا أعترف أننى لست طيبا ولا خيّرا ، ولكنى أقسم انى لم أضر أحدا ، ولم أتسبب عمدا فى الإضرار بمخلوق . حتى الصرصار الذى يسير أمامى لا أحاول أن أدوسه بقدمى ، بل أتركه يعيش حياته . وفى رأيى ان الدعاية ذاتها لعمل أو إنتاج لا يشين صاحبه ، مادام لا يضر بالغير ، وكنت أحب فعلا أن أكون أنا المبتكر والمبدع للدعايات عن أعمالى ولكنى قليل الحيلة ، والقدرة ، والتفكير العملى فى ذلك .

● ما هو أجمل ما كتبت ؟

– لا أستطيع أن أحدد .. فأنا أشبه نفسى بنحلة تنتج إفرازات من زهور مختلفة ، وهى نفسها لا تعرف لماذا .. أنا أعرف أنها تكون كتبا ، ولكن النحلة تجمع إفرازاتها من أزهار مختلفة ، ولو سألتها أى نوع من العسل أحسن ؟ – لا تستطيع المعرفة ، لأن لذتها الحقيقية فى الإفراز .

● ما هو الكتاب الذى تأثرت به ؟

– أنا تأثرت بكتب كثيرة فى مختلف الاتجاهات : فى المسرح وفى الأدب القديم ، أهمها عندى فى المسرح : إبسن وبيراندللو وبرنارد شو ، وفى الأدب العربى الجاحظ . أعتبره أهم واحد ، ولدى له كتاب اسمه « المحاسن والأضداد » مكتوب عليه سنة أولى ثانوى . أول كتاب اشتريته بفلوسى ، وموجود فى ظرف عايش معايا إلى اليوم ، رغم أن كتبا أخرى كثيرة غيره ضاعت .

● ما هى أجمل سن للشقاوة ؟

- الأربعون .

● وأجمل سن للحكمة ؟

- الخمسون .

● وللفلسفة ؟

- ابتداء من الـ ٦٠ يبدأ الإنسان فى فلسفة سني ماضيه ، وسنوات مستقبله . أما قبل ذلك فإنه يكون عادة مشغولا بالتخطيط والتفكير فى العمل ، وهذا يجعله غير متفرغ للمسائل الفلسفية العامة ؛ لأن الموضوعات الشخصية تستولى على تفكيره وخططه .

● من أول الذين تحب أن تلقاهم فى الآخرة ؟

- من المؤكد انه ابنى إسماعيل الذى مات فى أكتوبر ٧٨ .

● ماذا تقول له لو تم هذا اللقاء ؟

- كنت أقول له : اسمع يا ابنى .. في العادة يريد الابن أن يقلد الأب ، ولكن الذى حدث معى هو العكس ، وهو أنى أنا الأب كنت أريد تقليد الابن .. كنت أريد أن أقلدك فى موقفك من الدنيا . يخيل لى من حياتك القصيرة فيها أنها لم تكن دارك ، وأن دارك الحقيقية هى الآخرة .. هى الأبدية .. وأنك مررت بالدنيا بل بسماء الدنيا ، كشهاب ينطلق فيها لحظة ، ثم يختفى فى عالم آخر لعله نور الكون . ولعلك أيضا

تسبح فى النور الإلهى ، ولذلك كنت ترفض الأطباء ، والعلاج الصحيح ؛ لتسرع إلى بيتك الحقيقى ، وهو « الأبدية » فى رحاب النور الإلهى . لم أستطع تقليدك ، والله تعالى رفض لقائى بقربه ، فاللهم غفرانا لى ولك ورحمة بى وبك .

● ما هى حكايتك مع « البيريه » ؟

– لبسته فى باريس ، وأصبحت عادة معى منذ ذهبت إليها لأول مرة عام ٢٣ وأصبحت لا أستطيع أن أخرج برأسى عاريا بسبب الخوف من البرد .

● والحمــــار ؟

– أعجبت بجحش صغير عرضت على صاحبه شراءه بربع جنيه ، وسخر منى ودخلت محل حلاق ، وأثناء وجودى داخل المحل فوجئت بصاحب الجحش يدخل على ، ويقول إنه قبل ربع الجنيه ، ودفع له صاحب المحل النقود .. وكانت « لخمة » كبيرة ، لأنى كنت فى ذلك الوقت أسكن أحد البانسيونات ، وحاولت أن أقدم له لبنا وشايا ولكنه طبعا رفض ، وفى اليوم التالى سافرت معه إلى عزبة أحد الأصدقاء ، وتركته هناك ، وبعد فترة عدت إليه لأزوره ، ففوجئت به أصبح حمارا ، يحمل السباخ .. وقد جعلنى هذا أفكر طويلا فى موضوعه .

● وحكايتك مع العصا ؟

– بدأت عندما عملت وكيل نيابة ، وكان معى سكرتير نيابة سنه كبيرة ، وعندما كنا ننتقل للتحقيق فى جريمة فى الريف كان العمدة ،

وشيخ الخفر يستقبلون سكرتير النيابة بالاحترام على أساس أنه وكيل النيابة ، أما أنا فكانوا ينظرون إلى شزرا ، ولا يصدقون أنى وكيل النيابة . وقد شكوت إلى أحد أصدقائى فنصحنى أن أشترى عصا ، وأحملها لأن من طبيعة الرئيس أن يحمل العصا ، أما المرؤوس فلا يمكن أن يحمل عصا ، وبهذه الطريقة كان العمدة ، وأهل القرية يعرفوننى ، ويستقبلوننى بكل احترام ، وقد بدأت هذه الحكاية عام ٢٩ ومن يومها لم أخرج مرة بدون عصا .

● **من هو ألصق الناس صداقة بك ؟**

- ليس لى صديق واحد ، ولكن مجموعة من الأصدقاء .

● **ما الذى يشغل فكرك الآن ؟**

- الضرائب .. لأن آخر يوم خرجت فيه من البيت إلى المستشفى ، وكنت فى حالة غيبوبة ، تلقيت خطابا من الضرائب يطالبوننى فيه بسداد ضريبة الإيرادات المستحقة على من سنة ٦٢ ، وبعد أن عدت إلى وعيى من حالة الغيبوبة التى أصابتنى أخذت أفكر فى الذى سوف أفعله بالنسبة للمطلوب منى ، رغم أننى والله العظيم مسدد ضرائبى ، ولكن على أن أثبت . وآخر ما فكرت فيه أن يتركوا لى « المرتبة » ، ويأخذوا العفش الموجود فى البيت إذا كان يستحق .

● **ما هى الثروة التى ستتركها لمن بعدك ؟**

- شوية الكتب اللى انت شايفهم ..

● ما هو دخلك الآن ؟

- مش كثير ومش قليل .

● يعنى كام ؟

- كله لا يزيد على ٣٠٠ جنيه .

● وهل يكفيك هذا الدخل ؟

- عادتى طول عمرى ألا أعيش خارج حدود دخلى .

● ماذا تقول للشباب الذى يسافر إلى الخارج ، ويمكن أن يتأثر بما تأثرت به عندما سافرت فى العشرينات ؟

- أقول لكل منهم : قدس ماضيك دون أن تذهب في ذلك التقديس إلى الحد الذى يجعلك توصد روحك ، دون تلقي كل جديد ينفعك ، ولو كان ذرة من أشعة .. اغترف بشجاعة من كل منبع ، وخذ من كل ميراث ؛ لتثرى نفسك ، ويتسع أفقك .

● هل لو كنت ولدت وكبرت فى عصر ظهر فيه التليفزيون كنت كتبت ما كتبت ؟

- إطلاقا .. كنت انشغلت بالفرجة على التليفزيون ، وحرمت من دخول مكتبى كما كنت أفعل بالساعات العشر مرة واحدة .

● **لماذا لم تنجح رواياتك فى التليفزيون ؟**

- بيقولوا إنه ليس لها نبض الجماهير !

● **فى كلمات سريعة : ما هو الشباب ؟**

- الشباب زهر الصباح فى آنية الوجود .

● **والثقافـة ؟**

- نحلة تتغذى ، وتغذى بثمار العقل والروح .

● **والحـب ؟**

- زكام يعطس فيه القلب ، وتدمع العين .

● **ما هى السياسة ؟**

- رمال متحركة ، والبارع من يجتازها سالما .

● **والمـرأة ؟**

- مخلوق فى يمناه السعادة ، وفى يسراه الشقاء .

● **والقـدوة ؟**

- علامة لطريق السلامة أو الندامة .

● ما هو الخلود فى رأيك ؟

- كلمة اخترعها الإنسان الفانى .

● والحيـــاة ؟

- يقظة بين نومين .

● والمـــوت ؟

- النوم الأخير .

وكانت هذه هى نهاية الحلقة السابعة والأخيرة من حواراتى مع توفيق الحكيم على فراش المرض فى مستشفى « المقاولون العرب » .



وثائق الحكيم

بخط يده



لماذا أسأله ؟

لأنني من حيث الشكل علمت منه أنه لن يكتب . فالرجل ، أحال قلمه الى المعاش بناء على طلبه . فقد لبث يكتب بلا انقطاع نحو ستين عاما ، وها هو اليوم في الثمانين . وصديقاه العملاقان طه حسين والعقاد ، أولهما ترك قلمه للمرض في مثل هذه السن ، والثاني ترك قلمه للقاء ربه في الخامسة والسبعين . ولذلك لم يبق له الآن غير الكلام ، والإجابة عما يسأل عنه ويستطيع عنه إجابة ...

هذا من حيث الشكل . أما من حيث الموضوع ، فإني أسأله لأنه ...

ماكيت الصفحة لمحرر الشباب

لابد من اختبارات لماكيتات مختلفة من شهر كامل قبل البداية

صالون ... — (نافذة على العالم)

تعليقات

القصة

حديث المحرر

(لمدة محدودة قد تطول [illegible] حتى ثبات القلم)

تكتب بقلم كبير

من مختارات الصالون لأدب الشباب

١ - قصة قصيرة
٢ - فصل تمثيلي
٣ - شعر
٤ - نقد فني أو دراسي أو ناقد للإنتاج الأدبي للشباب

مقالات نقدية

من الخارج أو الداخل أي من داخل الأهرام أو من كتاب الخارج

أخبار أدبية وفنية

من العالم العربي ومن الآداب والفنون في الخارج

نماذج

من الأدب القديم والحديث من مصر والبلاد العربية وإذا أمكن من الآداب الغربية أيضا

ملاحظة - إذا لم تنجح هذه الصفحة في إبراز شخصيات جديدة أو إحداث أثر في المجتمع الكبير فلا نسبة [illegible]
[illegible] .

في الساعة الآخرة (قضية التعليم)

مع [illegible]

- ما حكاية كالماء ، التعليم كالماء والهواء ؟
- ماذا تقصد ؟ الماء والهواء شيء معروف ...
- نعم ولكنه يحتاج الى تحديد. فالماء من انواع منه ماء النيل وماء المستنقعات وماء الحنفيات وماء الينابيع وماء الثلوج فوق الجبال ... كما ان الهواء يختلف فهناك هواء الحواري المغلقة كما ان هناك هواء الصحارى الطلق ...
- انا ما زلت احلل شيئا تحققه وتفلسفه ... ولكنه تصور معروف ...
- نعم معروف بمعنى ليس واضحا. الا بالنسبة للمقال تبعا للرغبات او الرغبات. والذي [illegible] كل شيء الى معنى قيام الدولة بكافة مصروفات التعليم لكل الاطفال ولكل شخص ... اي التعليم المجاني للجميع في جميع المراحل. فاصبح التعليم كالقطار المجاني يركب فيه كل شخص مادام يملك تذكرة وأحيانا بدون هدف. الى ان يتوقف القطار [illegible] يخرجونه [illegible] في الشوارع لا يعرفون ماذا يفعلون ولا يتذكرون ماذا وجدوا [illegible] اشخاص [illegible] ويحيطونهم [illegible] او [illegible] ... [illegible]
ولبعض من الاطفال [illegible] [illegible] مع [illegible] ولكن [illegible].
- انا لست مسئولا عن النتائج.
- ولكنه كالمنشئ هذه احدى من المسائل التي لا ينكر احد [illegible] ولا [illegible] شيء.
- قل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
بلاد البحر الابيض المتوسط [illegible] ثقافة وحضارة [illegible] ... لماذا ؟
- [illegible] [illegible] [illegible] لم نقطع [illegible]. والعرب البحر الابيض المتوسط [illegible]

بحيرة كبيرة شاطئها الشمالي هو أوروبا بدول إيطاليا واليونان وأسبانيا. أما شاطئها الجنوبي فهو أفريقيا بالدول العربية ورسالات الأنبياء. فنحن بدلا من أن نتقوقع في الإسلاميات، نقول الحضارة بمعناها المتقدم وهو أنها صفة للوجود والإنسانية التي هي شيء أساسي في هذه الحضارة عندنا.. وهناك وجه شبه بين كل ما هو من حضارات البحر الأبيض المتوسط وبين كلمة الحضارة التي ما كان من الممكن أن تكون منقطعة عن أوروبا. ولهذا يجب التحدث بعمق عن جذور كل حضارة..

وكان عباس محمود العقاد على مقربة فسمع وقال:

— هذا كلام صحيح وأسلوب بارع في إطلاق الشعارات... دون توضيح... فقولك بأن التعليم كالماء والهواء، يحتمل أي معنى. وأنا مثلا أفهم معناه التسليم بأن التعليم المجاني الذي تلتزم به الدولة هو التعليم الأولي، فمثلا أن تعليم القراءة والكتابة والحساب البسيط لكل شخص. أي محو الأمية الأبجدية. فلا يقبل أبدا من أي مواطن يجهل قراءة صحيفة أو كتابة اسم أو حساب معروفاته ورقمه... لأن هذا يعتبر جزءا من شخصية كل مواطن... خصوصا في بلاد إسلامية لابد أن يعرف المواطن المسلم أن يقرأ المصحف الشريف.. أما المراحل المتقدمة من التعليم فلا شأن لي بها.. وقد عرفت مصر بالذات نظام المجانية في التعليم على أساس التفوق أو الفقر. فكانت في المدارس ما يسمى مجانية تفوق، ثم مجانية فقر... أما إطلاق المجانية بغير حدود فقد أرى أن نتائج عكسية في أكثر الأحوال...

— وهل التعليم [illegible] الابتدائي وحده يكفي؟

فقال العقاد متحمسا:

— يكفي جدا لمن عنده رغبة وطموح.. وأنا شخصيا المثال الأول. لم أر قط في المدرسة [illegible] وتعلمت القراءة والكتابة، ولقد أجبت هذه [illegible] بمستوى أول بدائي جدا.. وأكملت ثقافتي بمطالعاتي الشخصية حتى أصبح العقاد كما تعلمون في مستوى ثقافي لم يصله الكثير من حملة الجامعة... لأن ما كان من [illegible] نظام أمريكا هو في لتعلوه، لا يعرف غير القراءة [illegible]

وكان يجلس بين الخيم يطالع ما يقع في يده من كتب وما يجده في مكتبات قريبة. وثقف نفسه بنفسه حتى تمكن من اكتشافات البلد وإلى أن أصبح من كبار الكتاب. وقال مثلاً هذا إنما هذه: كاتب ما تشبه وتتكرر فرنسي. وهو أندريه مالرو، الذي كان وزير ثقافة ديغول لم يدخل الجامعة. ومع ذلك ألف من الكتب العظيمة ما لم يؤلفه الدكاترة من السوربون.

فالشهادة والإجازة شيء مع الطموح وحب الإطلاع من المال الذي يحصل الشخص بنفسه جامعة. ما نفاخر الجامعات الرسمية المنتشرة بجميع أو معظم من ليس عنده إلا الشهادة أو طموح للمعرفة أو العلم في ذاته. بل الحصول على شهادة أو وظيفة الوظيفة في أي مكان..

- ولماذا لم تكتب لتعارضه لم تتعب في ولاية من طلاب الهواء هذه؟

فقال العقاد:

- لم آخذ كثيراً من سبيل الجد واعتبرتها مجرد شعارات أو دعايات لنا. ولم نتقبلها إلا بأي أهمية أو التأثير ونتائج أو حتى مجرد اهتمام على مستوى حكومة.

- اليوم؛ صرت هذه العبارة أو الشعار من المسلمات بل المقدسات عند أي وزير تعليم.

فقال العقاد:

- مع الأسف. تجد بلد يحفل من مجرد الشعارات مقدسات. لأن القدرة والشجاعة على التحليل لا يستخدم ما يثبت صلاحه وتعديل أو استبعاد ما يثبت خطؤه أو عيبه أو مجرد النية الدعائية فيه لم يجرؤ أحد على الإقدام عليه.

ثم قال العقاد:

- الإقدام موجود. ولكن اختلفت قبلة اليوم: فالإقدام لم يعد هو الإقدام على فتح العقل.. بل الإقدام على فتح الجيب.

وعلمت من العقاد أنه لم يفهم... وزارة رئيس وزير تعليم سابق هو:

د. نجيب الهلالي ... كان نجيب الهلالي المستشار القانوني أو كما كان يسمى في ذلك الوقت «المستشار الملكي»
لوزارة المعارف سابقا أي «التعليم اليوم» وكان قد انتدب للتحقيق في قضية الرشوة التي قيل إنها
اقترنت بإنشاء كورنيش الإسكندرية الذي تم في عهد محمد محمود باشا الأول . وقد قام نجيب الهلالي
بالتحقيق على أتم وجه ودلل عليها في مكتب المستشار له ، وكيل الوزارة وكان صديقه وزميله القديم في الدراسة
وكنت أنا مدير المستخدمين بالوزارة [illegible] فلما دخل علينا المكتب نجيب الهلالي وكنت أنا موجودا
أشد المتشاورين معه تأثرا وحرجا : «إني أخجل في حياتي أن أكون وزيرا في الوزارة التي [illegible]
الهلالي بك باشا : «أعوذ بالله» إن الوزير يفقد نصف عقله عند دخوله الوزارة ، فقلت أنا مازحا :
[illegible] ويفقد النصف الآخر عند خروجه منها ، ولم [illegible] يلبث أن سقطت الوزارة وجاءت وزارة جديدة
برئاسة [illegible] وجاء فيها نجيب الهلالي وزيرا للتعليم . وإن كان يقال إن رئيس الوزارة
[illegible] مكافأة له على براءته [illegible] القانونية في إنفاذ [illegible] من ورائه وفتح بيته
ثناء محمد رفعت [illegible] في [illegible] والدها بعينيها . والنهوض على الزواج والعودة للبيت . وقامت في عهد [illegible]
خصوصا منذ أسر في التي انتهت بالسقف ، ودافع عنه نجيب الهلالي ببراعته وانقذه ... وهل أنا أولى
بما فعله في وزارة التعليم أكثر منها الاهتمام بالتعليم الأولي ، على الطبيعة بأنه دخل فصلا في مدرسة
أولية بإحدى القرى يوم أن [illegible] ، واقترب من السبورة ونادى أحد التلاميذ إلى الوقوف وأمره
بكتابة اسمه على السبورة فكتب بخط رديء ملئ بالأخطاء في الهجاء . فأصدر الوزير أمره بإعادة
النظر في نظام التعليم الأولي بتحويله إلى مدارس ابتدائية ... لم يشعر مع نتيجة مؤكدة ...

وسألته الهلالي في الآخرة :

- وماذا فعلت أنت عندما كنت وزيرا لتربية الحالة في التعليم الأولي قال :
- لم أستطع فعل شيء . لأن الوزارة لم تلبث أن سقطت .
- واشتغلت أنت بالسياسة .
- طبعا . أحسن من الجلوس في البيت بلا [illegible] ... وقد مكث عامين وكنت
السياسة أستاذ عنق قلبية ... ثم ستة وزارات بين ورسمية
لم يصبح وزيرا للتعليم . فجاءت بشارة «التعليم كالماء
والهواء ...» [illegible]

وقلت أنا في ذلك اليوم لمن أعرفهم من رجال التعليم إننا نستطيع بأبسط الوسائل أن ننشر التعليم
الأولي بدلا من إنفاق الملايين بطريقة الوزارة... فوزارة التعليم لا تعرف من التعليم إلا مدارس
وفصول وموظفين وفراشين ومدرسين... وأنا من رأيي أنه لو فتحنا بين الفلاحين مدارس
يكفي فيها سبورة نضعها على شجرة صغيرة في الغيط ومدرس يجمع الأولاد حوله ويعلمهم القراءة
والكتابة دون أن يبارحوا الغيط مع إعطاء تلاميذ نجباء في القرية كتبا للأطفال تؤدي
هذا الغرض... تمحو الأمية الأبجدية وتوفر آلاف الآلاف يدرسون بعيدا عن جو الغيط ويجعل
منه المشروع المستقبل الخاص... أما الذي يحدث اليوم كما قال لي أحد العمد وهو من كبار الأعيان
تذهب إلى المدينة للتعليم ولا تريد العودة إلى الغيط بعد ذلك. ولهذا ولأسباب أخرى
نقص عدد الفلاحين في الهجرة الجديدة... كلما ازداد كثيرا عدد الشهادات المتعلمين والمثقفين ممن
تقذف بهم الجامعات، فلا يبلغ منهم إلا عدد ضئيل جدا بالقياس إلى مطالب
التي تكون منه مستقبلا صحيحا للتكوين أصبحت كالقمة الضخمة التي تتحكم في اتجاه السياسة
والثقافة والحضارة والإدارة التي تتبع للبيروقراطية... وبذلك حدثت في العجوزة
أو معجزة هي: انقلاب الهرم الأكبر بحيث أصبحت قاعدة العريضة هي العليا
وقمته الصغيرة هي السفلى - وساعد على انقلاب الهرم الأكبر البيروقراطيون الذين يطلبون أن القاعدة العريضة
- وما الذي تراه الآن لإصلاح التعليم؟ (والقاعدة العريضة في البيروقراطية والشيوعية ليست هي التي تقود بل هي محترفة لراحة القمة)
- أحسن ما أراه بعض الطلاب الذين زاروني قالوا في إضرار شديد: طالبنا
بالقضاء نظام الجامعة في التعليم. وأن يوضع بدله نظام الجامعة لكل الدراسات
والدروس الخصوصية.
فسألتهم الإيضاح والتوضيح فقالوا:

بالقاعدة العريضة فالهرم العقلي لم ينقلب هناك

٦

- إن المبالغ التي يدفعونها ويتحمل أعباءها أهاليهم ليست في الحقيقة مصروفات التعليم لأنهم حسبوها فوجدوها أقل كثيرا جدا من أثمان الكتب وأجور الدروس الخصوصية .. وإن الحكومة إذا ضاعفت منهم مصروفات دراسية في أول العام حتى ولو دفعوها مرة واحدة فإنهم وأهاليهم يستطيعون تدبيرها .. ولو يستطيعون التخلص من إعانات الصيف وبعد ذلك يستريحون طوال العام بعد أن تخلصوا مع دفع المصاريف الدراسية كل سنة كاملة مرة واحدة ... إلا أن الضعفاء منهم يجب أن تجعل لهم بعد الظهر دروسا خصوصية تدفع الدولة أجورها ... وبهذا يستريح الأهل المساكين من دفع الدروس الخاصة التي يضطرون إلى تحملها كل عام لأبنائهم ... وبإلغاء هذه التكاليف المادية جميعا يتساوى الموسر منهم والفقير وليس في ذلك أي نوع من الشعارات الفارغة فلماذا لا نسمح بإنشاء جامعات خاصة بأموال الأثرياء لامتصاص عدد من الأماكن التي يزاحمون الطلبة الفقراء عليها ... ونحن نحفظ للفقراء حق أن يتمتعوا بالمجانية ... بدلا من تعميم النظام المجاني للغني والفقير معا عملا بالشعار الرنان: إن التعليم كالماء والهواء .. أي أن الماء والهواء مما يتمتع به الغني والفقير على السواء .. فالتعليم يكون كذلك ... هذه أشياء لا نجرؤ اليوم خوفا من رد فعل بعض حملة الشعارات. وما دام الخوف هو الذي يحكمنا لا نغير شيئا .. فلنبق كما كنا بلا حركة ولا تفكير ولا تقدم. والله تعالى يقول في كتابه الكريم: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". وما دام ما بأنفسنا لا يحتاج إلى أن نغير في نظر المسئولين عن التعليم، فليبق كل شيء مستمرا على حاله بلا تغيير. ما دمنا نخاف التغيير والتفكير والله ولي التوفيق

التي اللفظ نعرفها نحن وليست من بلاد أخرى [illegible] نظام يعطينا [illegible] في بلاد أخرى.

١ اعترافات

اعترافاتي وقد اقترب موعد مغادرتي هذه الحياة الدنيا أمر طبيعي. والاعترافات عندئذ تكون من ذنوب وآثام تكمن في القلب ولم تعلن بسبب الخوف والخشية. وفي ظني هذه لا مكان لخوف أو خشية. فهل اخشى من احد ما يعلمه الله تعالى وأنا ارجو لقاءه عن قريب؟ والله يعرف اني فرطت في عباداتي. فقد كانت صلواتي له وانا طالب بين فترات كثيرة من نهار وليل ولكن في اوقات محدودة معدودة.. ولكنه كبعض الصوفية الواعية المستنيرة ظنوا ان هذا وحده يكفي.. ونسوا ان الخالق الاعظم لنا ولدنيانا وآخرتنا ينظر الى تصرفنا للدنيا والآخرة معا أما الآخرة فهي له. وأما الدنيا وما نمارس فيها فهو ابتلاء للبشر كافة. والشعائر التي أمرنا بها من صلاة وصيام وزكاة ونحو ذلك لابد من ان تكون ليس للآخرة فقط بل ايضا للدنيا وللبشر اجمعين وان اي اهمال لها فيه يصبح شرا سيئا ومن بلا سبيل للكل من تابع الجاهلين والمغرضين للشعائر ودفعهم الى تقليدهم والتشبه بهم فتختل بذلك قوائم ونواميس الدين كله. فانتفى فكرة القدوة الصالحة فأصبحت ذنبا يقتضي العقاب عليه في الآخرة وانا اقر بذلك متوقع له لانه عدل وحكمة من الله عز وجل.. أما الزكاة وهي من اسس الاسلام التي من حكمتها ان تحل مشكلات الشرائح في المجتمع لوحدته بالطعام وغيره. وكلنا في الوسط متروكة للأفراد والناس. فأصبحت اشبه بالتبرع لا بالفريضة الواجبة ويقوم الناس بها بحرية عن دفع الزكاة ومن الكذبة بالرحالين والمشاكين... وعندي اقتناع بعدم ارجو ان ينفذ يوما. وهو ان يضم فرض الزكاة واضيف الى فاتورة الكهرباء أو التلفون وبذلك يقطع النور والمكالمات عند عدم دفع المبلغ اللازم [illegible] الزكاة. الى الجهة التي تتولى توزيعه وتوظيفه للخدمة العامة حسب سياسة مدروسة ونافعة للدولة. لان الزكاة فيها ناحية مادية وهو خروج مال من جيب المستحق وهو طبيعي عند اكثر الناس الا اذا كان الفرض مصحوبا باجراء عاجل مثل قطع النور او التلفون عند عدم سداد الفاتورة التي تشمله

[illegible]

وهل للمال ورفع المال أهمية كبيرة عندي؟ سؤال مهم... والجواب: ليس لهم حب المال
ولكن المهم العمل على كتابته والسبب في الطريقة الأوروبية. وطريقة المال تختلف تماما عن
طريقة الفكر... وأعمالي الأولية كلها لم تكن من النوع الذي يأتي بالمال. وإذا حدث أن
نجح وراج كتاب أدبي أو فكري وجاء بمال كثير فإن صاحبه الأديب المفكر [illegible] بذلك. ولكن
يشرح مدرسة حساب تلبس نظارة طبية في مدرسة بنات ابتدائية فيناجيها بإعجابك:
ملكة جمال!.. طبعا يسره ذلك ولكنه لا يحسب له لأنه لم يكن في حسبانه ذلك النجاح
لما قد يحصد من يتصور أن من رواياتي التي قاربت المائة لم تنجح واحدة في النجاح
الذي يريد ربما يتذكر لو نجح جماهيريا النجاح الذي يتذكره المسلسل... وعندما شاع
حتى أني أحب المال طلب مني أهل لبنان أحد الشبه حوار [illegible] المسلسل للعديد من الأفلام
التي تظهر وقدروا الربح المنوه الذي يدخل لي من ذلك فرفضت. والرفض المستمر
لكتابة الروايات العاطفية المزيفة والمقالات الصحفية المثيرة كنت أطلب الأجر المرتفع جدا
الذي يمنع من يطلب مني ذلك. وبذلك شاع عني حب المال. ولم يعرفوا أن هدفي
الحقيقي هو إبعاد وتطفيش من يطلب مني هذه الكتابات. وأذكر أن المرحوم
التابعي أراد مني مقالا فيه أغراني بقوله: (أنا أدفع أجر المقالة [illegible]
[illegible] هو مطلع ثلاثة جنيهات للمقال [illegible] وأنه سيعطيني المقالة جنيهات وتصف
[illegible]) فطلبت له مقالا أضعاف راتب الكونة وقتذاك محمد محمود باشا فخرج (كان ذلك منذ
طردي من وظيفتي (كنت مدير تفتيشات وزارة المعارف) وكان صديقي الشيخ [illegible] عبد الرازق
وكان وزيرا في وزارته استطاع أن يقنعه بالاكتفاء بجمع نصف شهر من راتبه... وانتشرت
الإشاعة أني أحب المال وتركناها تنتشر. إلا أن العقاد صدق ذلك كما صدقه
[illegible] ولكن أذكر لها أنه مقلب لها - لأني في الحقيقة أقبل بالأجر القليل للأعمال الفكرية المحدودة
التوزيع. ولكني كنت في الحقيقة أحل من أجل المال كنت أبيع شرفا.. ولكني أعيش
بالستر فقط وبما يكفي لعيشتي العادية جدا... وهذا واضح
والنكتة أن الذي أيضا أشاعه كان من أهل المرحوم [illegible] أم للإعدام؟ اجتمعنا في وليمة.
فسألت المدعوين: هل سمعتم أن عقد [illegible] [illegible]
ثم [illegible] تقابلنا بعد ذلك في وليمة كان بها العقاد والمازني
فطلبت من كل منهما المبلغ لتغذية [illegible] التي كانت [illegible] فأجابوا كلهم بالنفي وأن ليس لي مائدة.
وفتح [illegible]، وجاء دوري فأخرجت
محفظتي فضحك من جديد خالية
فقال لي المازني
[illegible] في علبه [illegible]

لأني سمعت منه تلك الأسئلة من الحكمة موجهة للشقاء أما النظارة [illegible]

لأنه الماشرفي كان يعلم ذلك فـ ففتحت حقيبة النظارة الطبية فوجدت ورقة مالية بخمسة جنيهات فأخذت النقود ثم أعادت له حقيبة النظارة وهي تقول بما اشتهر عنها من النكات: « انت حافظ الفلوس في عينيك »، وهكذا شاع عنه حب النقود والبخل... ولا أريد أن أقول إنه الدافع عن نفسه.. فإن هذا قال لي [illegible] ولا [illegible] الإنكار والتبرير، وقد تكون صحيحة... فليكن.. فيما لا [illegible] ولا نستطيع عندئذ الدفاع عنه..

و عداوة المرأة ؟!. هذه أيضا السبب في أن الكاتب يرجع إلى المرأة أنها مسئولة عن « هدى شعراوي » بسبب [illegible] الأسلوب في تشكيل عقلية المرأة [illegible] أنه حذرت الجميع من الاستمرار في حياة الجواري وخدمة الرجال والانزواء في البيت لأنهن مساويات للرجل في كل شيء... واشتكى لي بعضهم [illegible] من إلحاح الزوجات لمزاولة هدى شعراوي، وفي ذلك [illegible] ونصحت الزوجة [illegible] بأن تتعرف على الأوائل ... يقول صنف [illegible] أن تطالب هو بحقه [illegible] على الرجل وعدم العمل والذهاب للبيت... حدثنا لي وقال بعنوان [illegible] وهو لا توجد زوجة [illegible] في القرن ونشر جملة مشهورة ... في المرأة [illegible]

الصالح في مصر [illegible] حتى [illegible] ولم تكن الشكوى من [illegible] العمل مع [illegible] وطبعني بالكراهية.. لولا أن [illegible] على ما هو [illegible] واضح كان [illegible] لهذه المرأة [illegible] نزل [illegible] أن المرأة [illegible] عدو المرأة ... و [illegible] الأسباب [illegible] ولكن [illegible] لا [illegible]

فكانت [illegible] المرأة [illegible] أو الدفاع عن نفسي [illegible]

Gabel Al Akhdar-Nasr City-Cairo
Tel. :837457-837642-836642
Telex NO.94053 A.C.M.C. UN
الجبل الأخضر - مدينة نصر - القاهرة

٤

ولقد اعتقد بعض الناس أن "النحل" و"عدو المرأة" ليستا إلا من أساليب دعاية قد
رجل الفن والأدب . كما كان يقال عن برنارد شو أنه يلبس أحيانا ملابس ملونة لافتة للنظر
ويذهب بها في الجنائز المكللة بالحزن مثل ساحة الجبل . ولذلك كان من السهل تصور أن هذا
يحدث مني قصدا ؟ !! أضيف إليه "العصا" و"الحمار" و"البيريه" ونحو ذلك — والحقيقة
الذي لم أفتعله هو أني أفضل قبلا وثانيا واخيرا من برنارد شو . وأن كل هذه
الوسائل التي اعتبرت دعايات من الشائعات كانت لا تطرق في الحقيقة الواقع ولم يكن لها من قبل
أو التفكير في استغلالها إلا بعد أن شاعت فاستخدمتها ولا أحاول تكذيبها لأني أعتقد أن التكذيب
يثبت ولا ينفي وأن من يقال عنه أنه مجنون ويكذب ويقول إنه عاقل فانه يثبت جنونه . ولذلك
كل إشاعة عني أستخدمها وأؤكدها ولا أحاول نفيها . إلا ما كان منه ضرر للغير . فأنا أعترف
أني لست طيبا ولا خيرا ولكني أقسم أني لم أضر أحدا ولم أتسبب عمدا في الإضرار بمخلوق .
حتى العصا التي بسببها أمامي لا أحاول أن أؤذي بها أحدا ... بل أتركها بجانبي .
فقد أبعده عني بوسائل أخرى تقاديا من ضرره هو . وقد رأيت أن الدعاية ذاتها لعمل أو
الشيء لا يتجه صاحبه ما دام لا يضر بالغير . وكنت أرجو أن أكون أنا المنكر
والمبرئ للدعايات عن أعمالي ، ولكني قليل الحيلة والقدرة والتفكير العملي في ذلك . وقد
أضعت على نفسي فرصا تأخرت في هذا السبيل . أذكر أن فرصة نادرة
للشهرة والطبع في باريس قد أضعتها وأخفيتها : أن المسرح الفني الفرنسي "الكوميدي فرانسيز"
أرسلت لوزارة المعارف عام ١٩٤٩ قبل أن أذكر أن مسرحيتي "شهرزاد" قد ترجمت إلى
لجنة القراءة فلاحظت ركاكة الترجمة ولكنها أعجبت بها كمسرحية كبيرة وناقد جريدة "الموند" "الشهير روبير كيمب"
تقريبا بحماسة شديدة فكتب عن مسرحية أخرى وكان من نتيجة ذلك أن مثلت في
باريس بالفعل هذه المسرحية وإذا بجريدة "الموند" تنشر مقالا عن المسرحية بقلم
هذا الناقد والأديب ووضع اسم الكاتب مفرد . ولكني لا أذكر أنه يذكر في
هجوما لاذعا منصبا كله على المؤلف والمترجم . ودون أن يذكر أنه سبق أن قرأها أو عرفها .
تردهشت ولزمت الصمت ولم أعلم بذلك حتى اليوم ، مع أنها كانت فرصة والمناسبة في بحبوحة
طبع الكتاب لأن في ذلك موقفا هذا الكاتب الفرنسي الشهير . وقد عرفت الرائع لو وفوا إن
ذلك الوقت عام ١٩٥٥ عندما نشرت المسرحية لأنها تشاهد ثورة الجزائر ضد فرنسا
فالقضية الآن هي : هل أؤثر السياسة لأنه في الرأي الفني والحادثة ؟ وأين ذلك ؟
في فرنسا بلد الحريات وأبواب الحر كما يقال .. لو عرض هذه
القضية والجرم بلا حليف بالتهم .. فأي
حجة وأي دعاء للمسرحية ظهر نورها
أهم من نقاد الفن
الأديب هذه

هذا كل ما أذكره من حياتي التي تسبل كالماء والهواء بلا طعم ولا رائحة
من حقيقة كنت أود أن يكونوا أولها بعيدا لا أعلمها حتى لا يسلبوها ولا حاجة
ضرورية . لا هواية لي فيها ولا مسرة . مجرد عمل يجري لي في فراغ
كالحوت بغير هدف ولا سابق تدبير بعد ما تم .

يسكت عن هذا الموقف ويضيع هذه الفرصة
بالصمت التام لأن المؤلف عاجز القدرة على الحماية عليه
وقد توفي هذا الناقد منذ سنوات تاركا مقالة
يبحث فيها عن تفسير موقفه هو الآخر ....

القومية العربية

من العبارات الشائعة عبارة "مصر للمصريين" ثم عبارة "القومية العربية". ولفهم الدلالة العبارة ومصدرها التاريخي فإننا نضع تحديدا لكل عبارة من العبارتين. فإذا رجعنا إلى العصور وعرفنا أنه نبع من ثورة ١٩١٩ عندما طلب المحتل الإنجليزي أن يطلبوا إلغاء الحماية معناه عندنا عودة مصر إلى الخضوع للنفوذ العثماني صاح زعماء الثورة أن مصر تطلب الاستقلال التام ومعناه عدم الخضوع أو الانتماء لأي دولة وأن مصر للمصريين.

ثم جاءت ثورة ١٩٥٢ وخرج الإنجليز من مصر فأصبح لها معناه أن مصر أصبحت بالفعل والواقع ملك للمصريين. ولم يصبح شعار ثورة ١٩١٩ وهو "مصر للمصريين" الضرورة الحيوية التي كانت له. ولاحظ ذلك عبد الناصر وزملاؤه وأدركوا أن الدول العربية تتفكك الروابط وتلك هي التي لا يربطها ... وهذه أشياء ونشأت عنه كما ذكر في كتاب: فلسفة الثورة "حاجة الدول العربية إلى أن ترتبط وتوحدها تحت زعامة قوية ... فنشأت عن ذلك فكرة الاتحاد ثم فكرة "القومية العربية" و"الدول العربية" فالثورة ١٩١٩ جاءت تعبيرا واتجاها. وثورة ١٩٥٢ جاءت هي الأخرى تعبيرا واتجاها. والثورات حلقات في عمر العالم ... ولا يمكن تخطي حلقة أو القفز فوق عمر إنسان أو شعب. وكيف يمكن نقل الصالح من حلقة إلى حلقة - كما يمكن إصلاح الفاسد من أحوالها ... والإسلام نفسه وهو من عند الله تعالى لم يعمل على إلغاء الجاهلية أو الإنسانية السابقة. بل ألغى فقط الفاسد منها الذي لا يرجى إصلاحه. واستبقى الصالح للبناء ولو للإصلاح ... وهذا ما حدث في الثورات الإنسانية الكبرى فهي بعد فترة العنف الدموي تميل إلى الاتزان والنظر إلى ما صنع في التاريخ بموضوعية وميزان عادل فهي لا تهدم هدم تام. هكذا فعلت الثورة الفرنسية والثورة الروسية.. فاحتفظت الأولى بقصر فرساي وباللوفر واحتفظت الثانية بالكرملين وآثار القياصرة الكبرى.

- ولكن القومية العربية لم تحققه حتى اليوم.

- طبعاً. لأنه الأصعب. فالكثير من الاتحادات لم تتم إلا بعد ما حكمها بالسياسة أو بالقوة.
أما إنشاء قومية تضم عدة دول فإنه لا يمكن أن تنجح بالسياسة أو بالقوة.
لأن الاتحادات التي قامت بين [illegible] ما يشبه [illegible] بالسياسة أو القصد. ولكن القومية
ليست كالأشياء المادية بل هي عناصر روحية ومعنوية. لذلك لا تأتي بمجرد الإجماع
أو القصد الإجباري بوسائل مادية. لذلك لم تنجح التجارب المطلوبة في "الجامعة العربية".
لأنها انبثقت على أساس سياسي. والسياسة رمل متحرك. فالبناء على أرض
من الرمل المتحرك هو بناء [illegible] دائماً يتحرك هذا الرمل.. ومن رأيي أن تقوم
"الجامعة العربية" على أرضية ثابتة لا تتغير. لأن في أعماقها جذوراً قديمة
نابتة في كل دولة وكل فرد بها. والجذور الثابتة في أعماق العالم العربي
هي جذور روحية وثقافية.. هي جذور الدين مغروسة في أعماقهم من قديم
وجذور تراثهم اللغوي العربي حي نابض في كيانهم دائماً تربطهم حباله برغم
البعد والخلافات السياسية المؤقتة. فجذورنا الروحية والثقافية هي الأرض
الباقية الراسخة دائماً. [illegible] [illegible] رأيي هو أن
تكون "الجامعة العربية" قائمة على أسس "روحية وثقافية" وليس
على أساس سياسي. ولما كنت أعتقد [illegible] ... إلا الأمل إذا
[illegible] من [illegible]. لهذا أقترح الآن البدء بإنشاء "جامعة الدول
العربية الروحية الثقافية" وأن تكون بعيدة عن المتغيرات السياسية.
وهدفها المحافظة على روابط العرب الراسخة والسعي بهم نحو التقدم
الحضاري. والبعد عن الخلافات والمنازعات. وتركها لاختصاص
"الجامعة العربية" السياسية القائمة الآن. وأن تكون كل من الجامعتين
"الثقافية والسياسية" مستقلة تماماً عن الأخرى ولا تتدخل أي منهما
في شئون الأخرى ولا تتبع اتجاهاتها ومواقفها. ولا تتأثر بالخلافات
السياسية بين الدول العربية، لأن أهدافها مختلفة. لأن ما يفرق السياسي
وقتي أما الرباط الروحي والثقافي فهو الدائم مثل جذوره.

وليس من الضروري أن يكون مركزها في مصر أو أن تظل في مصر دائماً على أن تكون لا زعامة بل أن تقوم على أن تكون بيت شقيقة كبيرة وشريكة مقيدة مع بقية الأشقاء.. ويكون مقر هذه الجامعة حسب الاختصاص أو بالطريقة الديموقراطية حسب الانتخاب، أو تنظيم لاختصاصاته وتوزيعها بالعدل بين الأشقاء على أساس الجهود...

بسم الله الرحمن الرحيم
« وإذا مرضت فهو يشفين »

المركز الطبي
المقاولون العرب
عثمان أحمد عثمان وشركاه



Arab Contractors
Medical Center
OSMAN AHMED OSMAN &Co.

٨٢/٩/٦

ما هو مستقبل المرأة في العالم
وخاصة في مصر ؟

مستقبل المرأة في العالم كما ظهر وربما في أمريكا أخيرا بوادر تدل على أن المرأة بدأت تضيق بالعمل وأن الحنين إلى البيت بدأت تشعر به. وربما حدث نفس التغير في حلها وترحالها التي نادت بها في القرون الماضية من وجوب مساواة المرأة بالرجل في كل شيء... ولكن بعد أن وصلت أخيرا إلى هذا الغرض ووجدت المرأة نفسها مع الرجل في العمل الواحد وأحيانا تنافسه وتتفوق عليه. ثم وجدت المرأة أنها أصبحت مساوية للرجل في المناصب الكبيرة فهي رئيسة وزراء ووزيرة [illegible] ثم اكتشفت أنها فقدت شيئا أولا وهو أن [illegible] أحوالها [illegible] ثم [illegible] الكلوب [illegible] وأن الوصول لا [illegible] إلى [illegible] الأول [illegible] أن تختفي [illegible] بالرجل وتحل [illegible] المساواة المرأة في [illegible] وسوف نرى عودة المرأة إلى [illegible] الجديد [illegible] عودة المرأة إلى عرشها..

عودة الرومانسية إلى المرأة!

أما في مصر فكان ظهرت بوادره [illegible]. فالمرأة تخرج في الجامعات مع [illegible] زوجة عاملة [illegible] في الشركات [illegible] ما [illegible] وأحيانا [illegible] هذه [illegible] الأمر [illegible] بعض الزوجات [illegible]

Jabal Al Akhadar-Nasr City-Cairo
Tel 837457-837842-838842
Telex NO 54053 A.C M C UN

الجبل الأخضر - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٨٣٨٨٤٢-٨٣٧٨٤٢-٨٣٧٤٥٧
تلكس دولي رقم : ٩٤٠٥٣

في الشهر من ايام طوال ... بسبب بدونه متاعب العمل والمواصلات
والواجبات في المنزل من رعاية الاطفال وطهي الطعام لهم وللزوج المحترم الذي
يقضي وقته ولا يطلع الزوج على رغبتها الخفية في حبه يطالبها هي بزوج ارباحها بالعمل
ارتباطها من عملها بالنظام الكامل عند انشغالها لاعمال الزوجة والاطفال . فاذن الراحة النفسية من واجباتها باستمرار انشغاله
انشغاله اليوم بعمله تعلما وطلب كل رغبة وطالب بالام [illegible] وساعات طويلة
يرجع للتنفيس بدون [illegible] زوجته .. ويرجع في الزوجة اليوم في حالة يرثى لها من
في عمل ... والزوج يشتغل ويقول ... لقد نزلت المرأة من عرشها ... ذوقها طعم المساواة بالرجل وما تستلزمه
مشقات العمل البيت والجهد في الشوارع المزدحمة [illegible] كلكم يتجه الى مجرد ربيبة للرجل في
الرجل [illegible] بالاتفاق مع بيت الزوجية الملقى كلامهم [illegible] لتقسيم [illegible] بمشاركته في
وسيلة ورعاية الاطفال ونظافة البيت ... كما هي ودور من طهي طعام

ولكنه

المعروف انه في القرن القادم اي في اعوام سنة .... ستنال المرأة المساواة بالرجل وستعود الى منزلها لرعايته ورعاية اولادها بعد ان تنتشر الدولة "المرأة ست البيت" وظيفة اجتماعية يكفلها [illegible] بالشروط المناسبة [illegible] والحكومة [illegible] اولادها . وتكون مسؤولة عن تعليم الطفل . واما اذا كانت ستدخل الجامعات او الدراسات العليا فذلك ليس بغرض تكوين ثقافة عامة فارغة . بل بغرض استخدام هذا التعليم في تنشئة اولادها ... واذا كان البستاني الذي يرعى البذور النباتية يتقاضى اجرا عن عمله . فمن تقوم بعمل البستاني الذي يرعى البذور البشرية من الاطفال الذين سيصبحون رجال المجتمع في المستقبل . فان المرأة والام تقدم لمجتمعها خدمات اجتماعية اكبر بكثير من الموظفين ، ويجب ان تتقاضى ما يتقاضون من اجر ومكافآت ونحو ذلك . فالمستقبل في نظر المرأة الموظفة بالمرتب لرعاية زهور المستقبل من الاطفال والرجال ونطاق بل افضل لانها تنشئ اجيال المستقبل .

هل توجد في مصر أزمة فكر
وأزمة مثقفين وأزمة متعلمين

من المبالغة والظلم أن نقول أن لا يوجد في مصر مفكرون ومثقفون ومتعلمون. فالعقول موجودة. لأن العقل عضو طبيعي في الإنسان كما أن القدم والساعد والأذن كلها أعضاء طبيعية في الإنسان. وإذا تركت هذه الأعضاء تعمل بشكل طبيعي فإنها تكون مشتركة ومتوازنة ووظيفية فالساعد عندنا تؤدي وظيفتها ثم أنه وجد لا أزمة مشتركة في الحركة في كرة القدم وكرة السلة ونحو ذلك فالقدرة ووظيفة الطبيعة بلا أزمة ولا موانع. وكذلك الأذن نسمع بها ما نريد من موسيقى وغناء وغير ذلك بدون معوقات.. ولكن العقل وهو العضو الذي يعمل به المفكر والمثقف والمتعلم هو الذي ظهرت أزمته. إلا من التساؤل: هل يوجد فكر أو أزمة فكر؟ والمثقف والمتعلم هل لهم وجود بارز في النتائج في المجتمع! وأين هو العضو الخلاق هذا المسمى «العقل»؟

العقل في الحبس!

هذا العضو الحساس والخلاق «موجود في جسم الإنسان موجود بالطبع. ولكن هذا العضو الآن موضوع في «الحبس» فلا يتحرك بحرية. ولكن أشياء القدم أو الساعد أو أي عضو آخر موضوع في «الحبس»

وليت هذا نادر وطارئ.. ولكن اغلب بلاد [illegible] المشرد

الأرق والزائف ما عدا بعض النابهين. والجسد هذا ما هو ماهيته

وما صفته وما عناصره؟ وما الذي وضعه وصيّره للعزل؟

انه موضوع متشعب التفاصيل معقد مغلق الحلول.. ليس من السهل

الخوض فيه دون خبرة ودراية بكثير من النواحي، ولذلك

يحسن [illegible] أن أترك فيه المجال مفتوحا لأهل الخبرة لكل جهات

خبرة او تخصص في أي ناحية من النواحي العديدة أن يدلي برأيه

الحر في نوع وصنف مادة الجسد، هذه الموهوبة للعقل

المطلق... ولا بأس من عدم ذكر أي استرسال طويل مع

وصف هذا الجسد الجليل بحضور العقل «تحديدا». ولكي لا يكون

كلامي هذا غامضا أو مبتورا فإني أفصح قليلا بقولي اني اذكر انما كلمة

للعالم الكبير وأحد أعمدة الذرة النووية "نيلز بوهر" قال: "لا ينبغي لأحد ان يفهم

أي شئ أقوله على انه تأكيد بل هو مجرد عرض مسألة".. ومعنى هذا فهو

انه على علمه الواسع لا يريد ان يكون علمه ورأيه قيدا يمنع حركة البحث الحر

عند الآخرين.. أي انه لا يريد للعقول الأخرى ان تتجمد في حبس افكاره وآرائه.

واسأل بدوري هنا مجرد السؤال: هل يستطيع طالب علم عندنا ان يقول لأستاذه:

ان الذي تدرسه ومذكراتك بل ما جاء في الاقتباس مما الملحق عليه ابعاد في كتب

اخرى في الموضوع؟ أو ان هذا الطالب سيجد نفسه مسئولا في الامتحان اذا لم يجب

طبقا لمذكرات الاستاذ وحدها؟.. وهل يستطيع كاتب ان ينشر في جريدة معارضة رأيا

معوقا بقوة للحكومة، أو ينشر في جرائد الحكومة رأيا مؤيدا جدا للرأي المعارض؟

مجرد سؤال؟.. وهكذا وهكذا.. اذن هو «الجسد» الذي ترضع فيه العقول. والفرس

الى ان ذكرت ان احاديث لي سمعه ان طلبة في رسائل الاعلام المرئية المسموعة تحدثت

لأن الجانب المرئية قبل ومعرفة.. [illegible] لوقت وقته ما يرضي الحكومة. ويبالغ في الشتم بكاسة

اصبحت سيم غريزية الى حد تخاف منها في تقييم الحكومة نفسه لو علمت به.. فالجسد

«الجسد» هو الطريقة المعتمدة في طب تجميد العقول، حتى لا تتركه [illegible] فتحت

افراد من حركة هذا العضو الملعون! الذي يعتبر معكوسه بجانب عصره وانا

الى تجميد يوضع في الجسد حتى لا يتحرك الا بأمر

الطبيب!... ومن هو الطبيب؟

سؤال آخر صعب الكتابة عنه!..

"الطفولة"

الطفل بذرة ستنمو لتصبح شجرة. والأطفال بذور ستصبح في المستقبل أشجارا مثمرة.

وكما أن البذور النباتية في وزارة الزراعة [illegible] ونصنفها ونوزعها للإنتاج الجيد والإنتاج الوفير.

كذلك البذور البشرية لا بد [illegible] البلاد المتقدمة من يرعاها ويصنفها ويختار لها أجود [illegible] وتوجيهها لكل موهبة المناخ المناسب للإنتاج الأمثل [illegible] .. ونحن أحوج البلاد إلى دراسة هذه المسألة، وإيجاد هذه الجهة التي تضع في عنايتها ما أسميه "البذور البشرية".

وقد يقال إن المسئول الأول عن نمو البذرة [illegible] التي يعيش فيها هي الأسرة.

فإذا كانت [illegible] في [illegible] فإن [illegible] الأسرة [illegible] كذلك.

أما إذا كانت [illegible] فإذا [illegible] إذن لا بد أن تكون هناك جهة تراقب هذه [illegible] البشرية أما الأسرة، [illegible] الوسائل الإعلامية .. قد يقال إن المختص هو وزارة الشئون الاجتماعية، [illegible] في هذه الوزارة "إدارة خاصة للشئون الأسرية"؟ [illegible] أو لا بد أن يوجد في وزارة الزراعة "إدارة للبذور والزهور" [illegible] أو الحيوانية [illegible] ألا [illegible]؟ وقد يقال إن هذه الوسائل [illegible] العجيبة التي [illegible] الحديث [illegible] التليفزيون [illegible] المرئية والمسموعة التي [illegible] كل بيت وتتسع مع كل أسرة [illegible] العالم الذي يرونه [illegible] الساعات [illegible] ولا [illegible]؟ [illegible] المفتوحة [illegible] من هذه [illegible] إلى [illegible] والمجتمع [illegible] المستقبل [illegible] والسعي [illegible] الأحزاب؟ [illegible] الجامعات؟ [illegible] الأجهزة الإعلامية [illegible] الدولة والأسرة والجامعات [illegible] وهو الغذاء والكساء [illegible] والمال [illegible] والأحزاب [illegible] العمل [illegible] الأسرة [illegible] برامج [illegible] على الكراسي [illegible]

إن في وزارة [illegible] للبذور البشرية [illegible] في هذا الاتجاه. وهو تصنيف الأطفال حسب مواهبهم وتوجيه كل طفل إلى التعليم الذي يؤهله إلى هذه [illegible] وتوجيه [illegible] [illegible] والمسئولين [illegible] الطفل [illegible] والطاقات [illegible] مع طبيعة [illegible] تتفوق في [illegible] الطاقة [illegible]

أو [illegible] اختبار [illegible] بذرة الطفل لقياس وتصنيف مواهبه وطبيعة [illegible] وإخبار أسرته بذلك حتى توجهه إلى طريقه [illegible] [illegible] والطبيعة.

شعار آخر:

إلى جانب ذلك أريد شعارا آخر هو: ما يطلبه المتقدم، ونفعل له ونعلمه ونخطط له: الدولة والأحزاب والجامعات ووسائل الإعلام [illegible].

الشعار الوحيد

الشعار الوحيد المعروف للدولة هو: ما يطلبه الناس، [illegible] ما يطلبه المستمعون، [illegible] المستقبل [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
« وقل رب زدني علما »

المركز الطبي
المقاولون العرب
عثمان أحمد عثمان وشركاه

Arab Contractors
Medical Center
OSMAN AHMED OSMAN &Co.

٢

والدولة مسئولة عن نشء [illegible] جيلا وراء [illegible]

تدريب الإنسان منذ الطفولة حتى الكهولة مع استعمال [illegible]

١- الحب والعيب والقدوة [illegible]

[illegible]

[illegible] أما التفكير [illegible]

[illegible] وعدم اهتمام الدولة [illegible]

[illegible]

[illegible] اما التقريب [illegible]

[illegible] سواء بالنسبة لوسائل الإعلام [illegible] فالمسئول هو : وعلى الدولة [illegible]

[illegible] في المستقبل [illegible]

[illegible]

التقدم

وما هو التقدم؟
التقدم هو له أربعة أنواع :
١- التقدم في [illegible]
٢- [illegible]
٣- [illegible]
٤- [illegible]
وكل نوع من هذه الأنواع الأربعة يحتاج الى دراسات تفصيلية وتوجيه الى وسائل التنفيذ لكل جهات الاختصاص [illegible] والدولة [illegible] ...

الجبل الأخضر - مدينة نصر - القاهرة
Rabel Al Akhdar-Nasr City-Cairo
Tel: [illegible]
Telex No. [illegible]

[illegible]

عودة الوعي

١ - تناولت بحث آثار الوعي الغائب هل كنت تقصد بذلك وعي الشعب
أو وعي الكتاب مثاليا وأنت واحد منهم

٢ - هل من السهل على أي نظام أن يفقد الشعب وعيه ؟

٣ - هل تعتقد أن الشعب قد فقد وعيه أو لم يفقد وما هي دلائل ذلك في
الأيام الأخيرة

٤ - وقيل إنه تحققت الديمقراطية وما من ثنائيات . وما هو العائد للإنسان
الثورات العلمية لم ... هذه الأسباب

٥ - تعد ظاهرة فتح الملفات . هل تخشى من عودة الوعي الزائف . وهل التاريخ
صورة لماضٍ لا تتحقق ..

بسم الله الرحمن الرحيم
« وإذا مرضت فهو يشفين »



Arab Contractors
Medical Center
OSMAN AHMED OSMAN &Co.

المركز الطبي
المقاولون العرب
عثمان أحمد عثمان وشركاه

(١) الإجابات

١ – بلورة الوعي .. وكلمة الوعي هنا المقصود بها الشعب كله من مثقفين وعاديين وأطفال .. [illegible] والقول بأن الوعي ناقص أو مشوش . فكيف كنت أعلم بكل ما يجري في الحارة الخلفية من سياسية واقتصادية واجتماعية إلا بما تنشره الصحف ووسائل الإعلام وبعض الإشاعات . ولذلك كنت أشعر أننا نهزم أمام إسرائيل ، ونحن جميع الكتب والمقالات تعلمنا بأننا أقوى عشرات المرات من أي دولة في المنطقة . وأثناء [illegible] إعلانات [illegible] تقول إنا سنطلق إلى أبعد بعد ساعات ... قولوا لي أنتم من أين مصدر هذه المعلومات كلام من المسئولين بالعطف على سياسة الدولة واستعداداتها الحربية . [illegible] التي لم نسمع [illegible] عن الوعي [illegible] لنعرف ذلك ، ومن بعدها عن من مسئولية [illegible] . ولكن [illegible] مسئول [illegible] كانت [illegible] على ما جرى في الأمور . مع أني لم أجلس مع ساعة واحدة فأنا [illegible] بالقلب والعاطفة وليس بالاطلاع على دقائق أغراضهم وسياساتهم ... إلا ما نعرفه كلاً من [illegible] ومقالات صحفية [illegible]

٢ – من السهل جداً على أي نظام مسيطر فيه الدولة على مصادر المعلومات ووجودها ومنابع الإعلام والاتصال بالجماهير [illegible] أن تشكل هي وعي الجماهير طبقاً للصورة التي تريدها ... لأن الوعي عند أي إنسان يتكون في رأسه من الصور التي تعرض له في تربيته أو سياسته أو مطالعاته .. ولكن ربما الآن على المستوى الدولي قيام الدول الصغيرة بالمطالبة بحرية المعلومات التي تسيطر عليها الدول الكبرى المتقدمة بما لها من وسائل إعلام قوية هي التي تشكل الوعي [illegible] على الدول الصغرى .

Gabal Al Akhadar-Nasr City-Cairo
Tel. 857457-837642-858642
TeleX NO 94053 A.C.M C UN
الجبل الأخضر - مدينة نصر - القاهرة
تليفونات : ٨٥٧٤٥٧-٨٣٧٦٤٢-٨٥٨٦٤٢
تلكس دولي رقم : ٩٤٠٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم
« وإذا مرضت فهو يشفين »



المركز الطبي
المقاولون العرب
عثمان أحمد عثمان وشركاه

Arab Contractors
Medical Center
OSMAN AHMED OSMAN &Co.

(٢)

٣ - أقل المستقبل [illegible] عادلاً وجميلاً ؟ ونحن نتساءل ما السر هذا الوعي الذي [illegible] أو لماذا !
إنني لا أملك وأكرر قولي هو أن الوعي مرتبط بالصورة التي نعطيها.. وعلى أساس هذه الصورة
يكون الوعي. والصورة لا تزال هي الإيجابيات بالتفصيل والأقوال بالتضخيم أما السلبيات
فنحن [illegible] من الإعلام ولكن لا نعرف [illegible] . ونحن [illegible] ما زال هو [illegible] . [illegible]
أطيب وكلي لا أقدس . ونحن [illegible] ولا [illegible] الناس [illegible] تكاملت وسائل الإعلام ٥٤ عاماً
لم تجرؤ على تناول ثورة ١٩٥٢ بدراسة موضوعية تخرج من الإنجازات الخاصة [illegible]
المعينة [illegible] . ولا [illegible] لأن الثورة [illegible] [illegible]
[illegible] . [illegible] [illegible] والصور [illegible]
والدراسة [illegible] والموجودة . ولم [illegible] [illegible]
الانقسام [illegible] الوعي السليم . [illegible] [illegible] ازدهار
الرقصة والشعوب [illegible] [illegible] [illegible]
آخرون والمثقفون [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ؟ لأن الوعي هنا [illegible] [illegible] وإنا [illegible]
وإنما ننسى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] ضرورية [illegible] ونشرها [illegible] [illegible]
الإعلام [illegible] [illegible] من ثورة ١٩٥٢ . [illegible] هو [illegible]
خطة المسؤولين [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أحاديث [illegible] [illegible] [illegible] الدولة
بالأسماء ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

Gabal Al Aknadar-Nasr City-Cairo
Tel 837457-837642-838642
Telex NO 94053 A C M C UN

الجبل الأخضر - مدينة نصر - القاهرة
تليفون : ٨٣٨٦٤٢-٨٣٧٦٤٢-٨٣٧٤٥٧
تلكس دولي رقم : ٩٤٠٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

« وإذا مرضت فهو يشفين »

المركز الطبي

المقاولون العرب

عثمان أحمد عثمان وشركاه



Arab Contractors

Medical Center

OSMAN AHMED OSMAN &Co.

٤ – والحق إننا حققنا من الكتاب « عودة الوعي » لأنه من المعقول أن يكون قويا. ولكن مع الأسف [illegible] المفتوح [illegible] [illegible] آخر للناشر [illegible] بالآلاف [illegible] [illegible] ولكن [illegible] [illegible] من [illegible] ناشر [illegible] الى طبقة [illegible] [illegible] من الخليج الى المحيط وقراء كل الناس [illegible] [illegible] انه [illegible] واحد [illegible] [illegible] [illegible] ... وسوف [illegible] [illegible] وقد نلت من الشتم والسب والتشنيع [illegible] . هذا [illegible] ما لا [illegible] [illegible] .

[illegible]

٥ – نعم . [illegible] في هذا الكتاب [illegible] [illegible] [illegible] مسئولا عن [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] أما عن « عودة الوعي » [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذين لم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] . [illegible] التي [illegible] السلطات ... [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالمعلومات [illegible] [illegible] [illegible] .

الجبل الأخضر - مدينة نصر - القاهرة

تليفونات : [illegible]

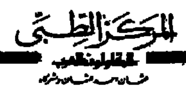
تلكس : [illegible]

Gabal Al Akhdar-Nasr City-Cairo

Tel 837457-837643-838842

Telex No.94033 A C M C UN

بسم الله الرحمن الرحيم
« وإذا مرضت فهو يشفين »





وإذا الطبيب قد كتب مقدمة له [illegible]

هل أنا نادم على كتاب "عودة الوعي"؟ سؤال سبق الطبيب أن سألنيه. والجواب عندي
قاطع - وهو: لا أبداً.. ولو لم أكتبه لكان لابد أن أكتبه. ولو كان عبد الناصر حياً قبل كتابته
[illegible] أن يطلع عليه. واعتقد أنه كان يوافق على نشره أو غيرها كتبت "السلطان الحائر"
عن حاكم حائر بين السيف والقانون: وذلك عندما قال أحد المسئولين عندنا أنه "القانون" والإجازة
وكانت رقابة خطيرة حيث رأتها [illegible] من أنه يلف حول الحكم.. ولكن رفضت أن تخرج إلى المسرح
قبل أن يطلع عليها المسئولون لأنني لا أقصد بها ولا يقصد بها مقاومة الحكم أو الهجوم عليه (وخاصة عبدالناصر) [illegible]
[illegible] "بنك القلق" التي وصفت فيه نظام حكمنا بأنه "بين الاشتراكية والرأسمالية" وقرأه عبدالناصر ولم
يمانع في نشره على الرغم من أن بعض معاونيه غضبوا لنشره.. أي لو كنت أردت كتابة "عودة
الوعي" في حياة عبدالناصر لما اعترضت ذلك عليه.. لأنه يرسل إلى أوراق [illegible]
[illegible] له. وهو متأكد من ومن حبي للثورة المباركة التي تنبأت بها ونشرت هذه العبارة
[illegible] الثورة المباركة في كتابي [illegible] الذي نشر قبل الثورة بسنوات.. والذي اتهمني
[illegible] على عبدالناصر بسبب هذا الكتاب لم يقرأ الكتاب قراءة صحيحة. ومع ذلك فقد أعدت قراءة
الكتاب مرات ومرات مراجعة ما قيل من الهجوم على عبدالناصر فلم أجد كلمة واحدة تمس شخص
عبدالناصر أو سمعته أو أخلاقه الشخصية.. إنما هو نقد موضوعي للنظام فعلاً وليس
[illegible] الزعيم - النظام الذي شغلنا بالحماس. والذي تحول شيئاً فشيئاً إلى نظام
بوليسي وأدى إلى هزيمة منكرة من عدو صغير ثم لم يجرؤ نائب واحد في مجلس الشعب
أن ينهض ليقول: إننا مع حبنا وإجلالنا العميق لزعيمنا فإننا في إطار حبنا له
وإخلاصنا له وللثورة فإننا نريد أن يوضح لنا أمراً واحداً: هو كيف وقعت الهزيمة؟..
[illegible] في مجلس الشعب عندنا بعد الهزيمة هو الرفض! لم نسمع نائب يرفض! إنه
[illegible] حالة وعي غائب أو في نظام جعل الناس يتجاوزون الهتاف والتصفيق
ويغيب عنهم الوعي بضرورة السؤال والمناقشة. أما السلبيات في الكتاب فلا تتمثل في صورة [illegible]! مثل [illegible]
[illegible] في الإصلاح الزراعي والصناعة والتعليم ونحوه: ثم عبارة أوردها كثيرون "عودة الوعي"
[illegible] أن تكون مسئولية عبدالناصر في [illegible] لا تقل عشرين في المائة فقط لأنه [illegible]
[illegible] وإيمانه بوطنيته. وكلنا أخطأنا [illegible]
وعدم الفصل بين النقد والهجوم
وعدم الفصل بين النقد والتقديس. فقدسنا عبدالناصر
[illegible] الحكم [illegible] ونقدنا أي حق لعبد الناصر
وأنا في كتاب "عودة الوعي" انتقدت والدي والدي مع حبي لهما...

[illegible]

Gabal Al Ahmar - Nasr City - Cairo. Tel: [illegible]
Telex NO.[illegible] A.C.M.C. UN
الجبل الأحمر - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: [illegible]
تلكس: [illegible]

لقد عرفت موقفك من كتاب "عودة الوعي" ، فما هو موقفك من كتاب "وثيقة" ؟

- الواقع اني افتقدت شيئاً هذه المواقف التي ترتبت على الدفاع عني . وبعد الثورة بتفرغي للخطابة البرلمانية جعلني ادافع عن قضية أو موقف لم يكن له وجود عندي اصلاً .. فلماذا ادافع عن موقفي في "عودة الوعي" واقول انني كتبته لا بقصد النشر ولكن بمناسبة ذكرياتي عن فترة مضت على الثورة .. والسؤال المطلوب الآن وهو : لماذا انتظرت حتى مات عبد الناصر ثم كتبت هذا الكتاب ؟ . هذه المشكلة مع هذه الصورة تقريباً واضحة معينة وهي ان هذا الكتاب هجوم على عبد الناصر . وفي هذه الحالة لن تجد احداً ان دفاع لا يقنع ولا يحرك لأن الجريمة هنا واضحة وسافلة وهي الهجوم على رجل مات والناس تعرف مقدار حبي له وحبه لي .. اذن هي سفالة متكررة أو نوع آخر لا يقل سفالة . ولكن الحقيقة كل الحقيقة وانا [illegible] اصحاب الموت ولم يعد يهمني شيء . لا الشتائم ولا الدفاع . الحقيقة هي انه لم [illegible] الهاجم يخلف هذا ما كتبته والمرحلة الصعبة . ولكن الذي اراه هو تعدد النقد لنظام الثورة كان يحول في مراحله الاولى التي ادت الى الازمة الكبيرة . وفرصته بعد نظام والاكرام على تحلل مؤسسة الناصرية لشخصية [illegible] والذي تم [illegible] وقرأ الكتاب بأرقامه التي من افتتح اثناء نشاطه بعد وفاته وودعت جنازته كجنازته . ومع العلم بأني كنت اول [illegible] الذي [illegible] بالاحلام كان اثناء حياته . ومن الذي [illegible] واخافه ؟ . ولماذا لم يكتب الصحافة في هذا الوقت ؟ [illegible]

أما موقفي من "كاتب وثيقة" .. [illegible] ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

(٢)

فوجئ السادات في "كامب ديفيد" [فهم على انه] موقف خيانة للعرب... ولو اني فهمت ذلك
فيما لكان موقفي هو الهجوم على السادات. وأول اتصال بالسادات كان الهجوم عليه.
يوم تلقيت مكالمة في العربية "الى وقعه مع آية كرتات .. [illegible] في البلاد العربية
مع انه هجوم ابا عمر على السادات وغضب السادات غضبا شديدا [illegible] في اجتماع
كبير قال فيه: "هذا الزيف والارهاب ... لكم ... تعذره"
كل الذي حدث [من كامب ديفيد] هو محاولة استرجاع هذا الجزء الغالي من ارضنا من المحتل الى أهلها..
وان الاشقاء العرب بسلوكهم او بعدم [illegible] عوده ارض عربية محتلة الى اصحابها.
وان الخيانة كما فهمتها هي خيانة امريكا للاتحاد السوفيتي. فقد كان الاتفاق فيما بين ان
يشتركا معا في حل مشكلة الشرق الاوسط ولكن امريكا سحبت البساط من تحت قدم
الاتحاد السوفيتي وانفردت في حل القضية او جزء كبير منها بعيدها لاستبعاد الاتحاد
السوفيتي من الشرق الاوسط.. ولم يظهر الاتحاد السوفيتي علنا غضبه من هذه الخيانة
ولكن مراقبة السياسة استطاع ان [يحولها للعرب] ويصور الخيانة على انها خيانة من السادات
للعرب. واقتنع العرب بذلك... وكان من اخطاء السادات بعد ذلك انه ترك هذا
الاقتناع ينمو وعجز عن معالجته باقناع العرب ان معنى استرجاع سيناء ليس معناه
التخلي عن دوره في مساعدة اشقائه العرب بل بالعكس بتكملة [illegible] السلام مع اسرائيل
من الوصول الى انتزاع حقوق العرب من اسرائيل - ولكنه [illegible] عجز عن اقناع امريكا
مساندة جديدة في معاونة اشقائه.. كما انه لم يحاول اقناع الاتحاد السوفيتي بحوده وعدم تعارضه
مع علاقته ومصالحه [بالسوفييت] بل انه بدلا من ذلك [عن طريق كامب ديفيد أو غيرها]
في ارجاع سيناء لمصر والتي ادت الى الشتائم العلنية للسوفييت. فانا مع السادات
الى الاجراءات المتنوعة في الاوساط [illegible] العمال ضد السوفييت والاشقاء العرب.. وان كان ان
بالجملة ولاقت نهم... التي لا حدود لها ضد هذا الحشد الكبير من الطلبة وزملائهم في يوم

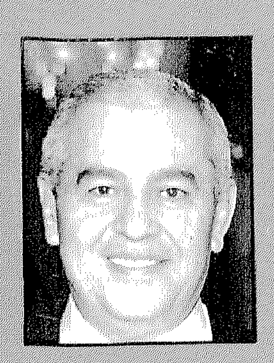


رقم الإيداع

٩٣٤٤ / ١٩٩٦

مطابع الأهـــرام التجارية - قليوب





عندما اشتد مرض النهاية على توفيق الحكيم ودخل المستشفى ، ظل فيه عدة شهور نسيه خلالها الأصدقاء وفقد كل إحساس بطعم الحياة وأصبح يمضى أيامه منتظرا الموت . وكان المؤلف هو الوحيد الذى زاره وأجرى معه حديثا ما إن نشره الأهرام حتى تذكر الجميع الحكيم مما أعاد له حيويته . وتحمس الحكيم لإجراء أحاديث مع المؤلف وأدلى له بعدد كبير منها ، يتضمن عدة موضوعات منها لقاء له تخيله فى الآخرة مع طه حسين والعقاد ، ورأيه فى عبد الناصر والسادات وكامب ديفيد وغيرها .

ويتضمن هذا الكتاب كل هذه الآراء التى لم يسبق نشرها والتى كتبها توفيق الحكيم بخط يده . والمؤلف هو الكاتب الصحفى **صلاح منتصر** صاحب الأسلوب الرشيق العميق ، من أبرز كتّاب الأهرام ، ورئيس مجلس إدارة دار المعارف ورئيس تحرير مجلة أكتوبر السابق .

الناشـــــر

786
9
صـ
د

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام

التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء ـ القاهرة
مطابع الأهرام التجارية ـ قليوب ـ مصر